

دار المام الملايين

صدر حديثًا

دَارالعِلْمُ للكَايِثِينَ

- مباحث في علوم القرآن الكريم تأليف الدكتور الشيخ صبحي الصالح
- علوم الحديث ومصطلحه تأليف الدكتور الشيخ صبحي الصالح
- النظم الاسلامية نشباتها وتطورها (مجلد) تأليف الدكتور الثميخ صبحي الصالح
 - منهاج الاسلام في الحكم

للاستاذ محمد أسد

الاسلام وتحديات العصر

للدكتور حسن صعب

- دفاع عن الاسلام للمستشرقة فاغليري - تعريب الاستاذ منير البعلبكي
- حياة محمد ورسالته لمولانا محمد علي _ تعريب الاستاذ منير البعلبكي
- الطريق الى الاسلام للاستاذ مفيف البعلبكي للاستاذ محمد اسد _ تعريب الاستاذ مفيف البعلبكي
- الاسلام على مفترق الطرق الاسلام على مفترق الطرق الاستاذ محمد اسد _ تعريب الدكتور عمر فروخ





الذكتؤرعمَا دُالدِّينِ خليْلُ



دار العام الملايين

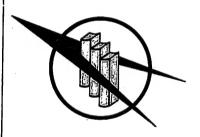
ص.ب: ۱۰۸۵ - بیروت سیاکس: ۲۲۱۱۱ - اینات

دار العلم الماليين

مؤسسة ثمسافية المساليف والمترج مة والنشر

شتادع مشدادالیشناش-خلف شنیختهٔ المغداد صب ۱۸۰۵ - متلفونت : ۲۰۶۵ - ۱۱۹۲۹۹ پرقسیتا : مشکلانین تلکش: ۲۲۱۱۱ مشکلانین

بيروت - لبنائ



جميع الحقوق محفوظة

الطبعَة الأولى ١٩٧٩ الطبعة الشّانية تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٢ 

مقدمة

ثمة في حياة المسلم المعاصر أحداث وتجارب وعلاقات وقيم وآراء ومبادىء واتجاهات ووقائع ونزعات... يتوجّب عليه أن يقف ازاءها بين الحين والحين لكي يسلّط عليها - من زاوية رؤياه الاسلامية - تحليله وفحصه واختباره.. ويصدر حكمه، ويتخذ - من ثم - موقفه.

ما من يوم ير الا ويجد المسلم في حركة الأيام والسنين، وعبر تيّار العلاقات المعقدة المتشابكة، في حياتنا الراهنة، عشرات التجارب والاحداث على مستوى الذات والموضوع، النفس والعالم، الروح والمادة، الانسان والمجتمع، المواطن والسلطة، والساء والارض..وهي نادراً ما تجيء في اطار قناعاته الخاصة، مصوغة من قيمه، مجبولة عجينتها من همومه ومطاعه ورؤاه.

من هذا التناقض بين ما يؤمن به وما يراه.. من ذلك الاصطراع الدائم بين ما هو كائنوما يجب أن يكون، من هذا التقابل الذي يمثل جوهر المأساة المعاصرة وسببها القريب

والبعيد.. ينشأ في نفس المسلم وذهنه إحساس نقدي يصل حدّ السخرية القاطعة حيناً، وتخفت أصداؤه عند حدود الأحزان الصامتة أحياناً.

ولكن الموقف الموضوعي الذي يتطلبه منا فكرنا هو أن نتجاوز هذا الحد أو ذاك، وقد مارسها الكثيرون للأسف فضيّعتهم السخرية المرّة حينا، واستهلكهم الحزن الصامت العميق حينا آخر.. و «الإدانة» الموجبة في حقيقة الأمر لا تتطلب منا اكثر من أن ننفّذ مقاييسنا ومعاييرنا وقيمنا الغنيّة التي منحنا الاسلام إياها في الحكم على هذه التجارب والاحداث، وتبيان مواقع الخطأ والصواب، وتحديد بقع الأسود والأبيض في مساحاتها جميعاً.

على ضوء هذا الحكم الموضوعي العادل الذي يلتمع في كثير من الأحيان كقبس الشهب في الظلمات، ببساطة بالغة وعفوية عجيبة، يجد المسلم مواقع خطواته ازاء كل تجربة تعرض له في حياته ويتخذ منها موقفه الذي يطمئن اليه ويقتنع به.

والاسلام لم يرد لنا يوماً أن ننعزل عن الحياة ونتخذ ازاءها مواقع السلب والفرار.. الاسلام، بما أنه حركة جهاد دائمة لتغيير العالم، دعانا الى النزول للساحة من أول لحظة.. النزول الى قلب الساحة.. فهنالك من خلال المعاناة الحقيقية المبهظة، من خلال التقابل الدائم بيننا وبين الذين نسعى الى تغييرهم، رغم صعوبة هذا التقابل الذي يصل بالمسلم أحياناً حدّ الاختناق والسقوط في الخطيئة، ويسوقه احيانا اخرى الى العذاب والاستشهاد!! من خلال هذا التقابل الفعّال، يحدث التغيير الموعود.. وتتبدّل - سريعاً حيناً وعلى مكث احيانا - خرائط المجتمع والعالم وحدودها وأحجامها.

لم يكن الجهاد في يوم من الأيام حركة في الفراغ.. ان الحركة في الفراغ لا تعدو أن تكون سلباً وسكوناً في نهاية التحليل.. وما طلب ديننا منا يوماً أن نقبع بعيدين في مواقع السلب والسكون.

وعندما قال الرسول عليه الصلاة والسلام «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك اضعف الإيمان..» كان يطرح في المقابل الأرضية التي يتحقق فيها التغيير، ارضية الصدام والتقابل والتداخل والصراع.. فلا تضرب اليد في الفراغ، ولا تتبدد الكلات في الفضاء، ولا يستنكر القلب – وهو لا يرى ويحس – ما الذي يحدث فيقبل أو يرفض!!

نظر اليوم فنرى حملة المذاهب الوضعية، وبخاصة الجدليين منهم، لا تفوتهم تجربة، ولا يفلت من بين ايديهم

حدث، الا ووقفوا ازاءه دارسين محلّلين، مسلّطين قيمهم ومعاييرهم - التي تصل حدّ التيبّس احيانا - ومتخذين مواقفهم ذات اليمين وذات الشمال.

فها لنا نحن الذين منحتنا عقيدتنا هذا القدر العظيم من القيم والموازين الحركية المرنة الممتدة الى شقى مساحات الفعل البشري، على مستوى الفكر والحياة، ندع العشرات والمئات من هذه الوقائع تفلت من ايدينا، فلا نقف ازاءها نفحص ونتمعن، ولا نصدر حكها، ولا نتخذ موقفا؟؟

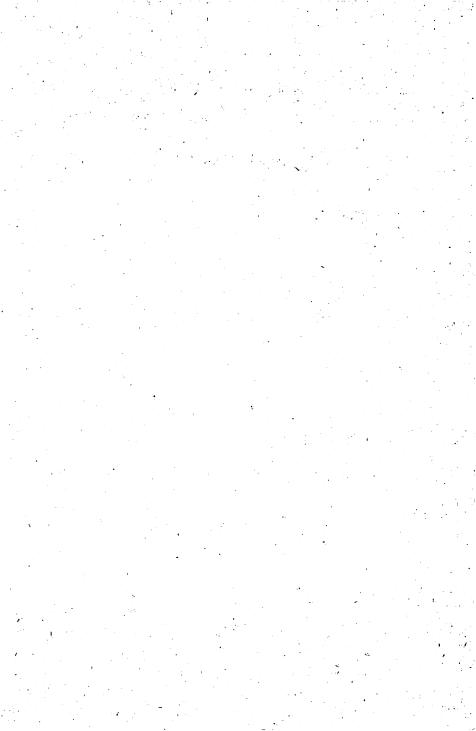
ما لنا نحن نتوقف عن مجابهة الحياة المتمخضة، الدائمة التغير والتبدل، ببداهاتنا وقيمنا ومعاييرنا التي لم تقصر يوماً عن منحنا القدر الكافي من الضوء لتبيّن مواقع خطواتنا في قلب العالم، واتخاذ مواقفنا تجاه قضاياه وهمومه ومتغيراته؟

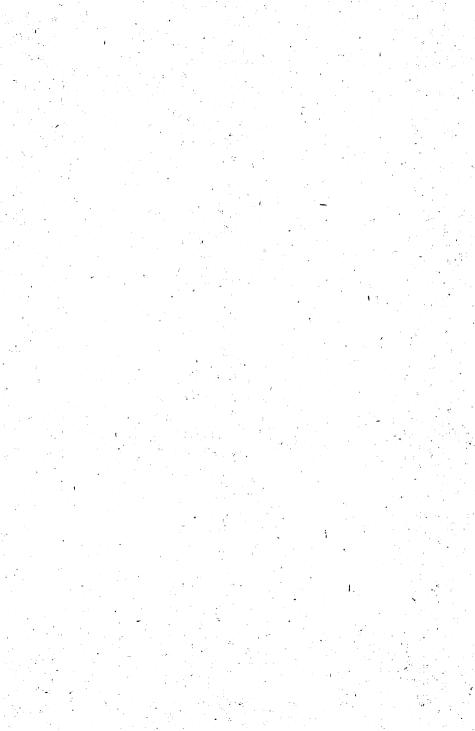
في الصفحات التالية يجد القارىء بين يديه محاولة اولية متواضعة لرصد عشرات من التجارب والقيم والوقائع، مما يعرض في حياتنا اليومية الراهنة، أو في ساحات الفكر والعقيدة، وإعطاء تحليل سريع لها، من خلال الرؤية الإسلامية.. واتخاذ «موقف» إزاءها.

وعسى أن اكون قد وفقت بعض الشيء في هذا السبيل.. ومن الله وحده التوفيق..

الموصل - العراق

عاد الدين خليل





يكن اعتبار «الانسان المسلم»: «مشروعاً دامًا »، بما أنه حركة متدفقة في الذات والمجتمع، وسعي البدي لا يتوقف عن التشكل والتغير، ولا يكف عن الطموح الى الكمال الذي لم يضع له الاسلام حدوداً نهائية أو تصمياً مسبقاً!!

إن الاسلام يكشف عن البداهات ويضع القواعد الاساسية لتنظيم وتسيير الذات والجهاعة وفق اكبر قدر من التناسب والتوازن والتناظر، من أجل أن يتيح لهما الأرضية التي تمكنهما من العطاء الدائم، متمثلاً «بالجهاد» على مستوى النفس والعالم، وفي كل مساحات العمل البشري اياً كان.. هذا في الوقت الذي تتجاوز فيه المذاهب الوضعية - بمختلف صيغها الذي تتجاوز فيه المذاهب الوضعية - بمختلف ميالوجودي » - على سبيل المثال - مشروع تغير دائم على حساب «الآخرين ». ويغدو «المادي » المنشد إلى «الوحدة الجماعية »، حركة تشابهية صمّاء على حساب «الذات ».. لكن الاسلام - من جهة اخرى - يدع الطريق

فها دام الله - جلّت قدرته - يقف قبالة وعينا الكامل، فلن تصدّنا عن المضي إليه عقبات العالم كله وأسلاكه الشائكة التي ما نُصبت في الطريق الا لكي تستفز في الانسان «الحسن» طاقة التحدي والتغلب والانطلاق!!





في أسفل «مانشيت» لأحد الأفلام الحديثة قرأت هذا العنوان «العزف على الحسناء»، فرفعت رأسي الى اعلى فاذا بصورة امرأة شبه عارية يحتضنها رجل بيد، ويحرّك على ظهرها باليد الأخرى، وتر الكهان، فكأنه يعزف عليها!! ولولا انني كنت قد قاطعت السيغا منذ تحولت الى جنس رخيص، لخطوت الخطوة التالية ودخلت الصالة لمشاهدة هذا الفيلم المثير.. «العزف على الحسناء»، ترى.. ماذا كنت سأجد؟ وماذا ستكون عليه أفلام الثانينات والتسعينات ولا أقول أفلام ما بعد سنة ٢٠٠٠؟

إن خيال الإنسان لا يقدر، مها امتلك من قوة ومقدرة على التصور، أن يكثّف في وعيه ما سيحدث يومذاك على الشاشة الفضيّة، اذا كنا اليوم نشهد عزفاً هذه طريقته وهذا اسلوبه.. اوتاراً تتحرك على اللحم البشري العاري، بدلاً من الله الكمان نفسها، لكي تسمعنا لحناً لا ريب وأنه يقطر شهوانية وشبقاً، ولا ريب – ايضاً – أنه ينضح بالغرابة

والعبث واللامعقول..

إننا نعيش فعلاً عصر الغرابة والعبث واللامعقول..

فبينا يسيطر الإنسان المعاصر على الطبيعة هذه السيطرة الفذّة، المعجزة.. وبينا يتمكن من عالمه المادي هذا التمكن العظيم.. نجده في عالم الروح.. في ميدان القيم والعلاقات.. في ساحات الفكر والفن.. في أمداء الرؤى والتصورات والاحلام.. في طرائق المعيشة والتصرف والسلوك.. يفقد اكثر السيطرة على نفسه، ويضيع...

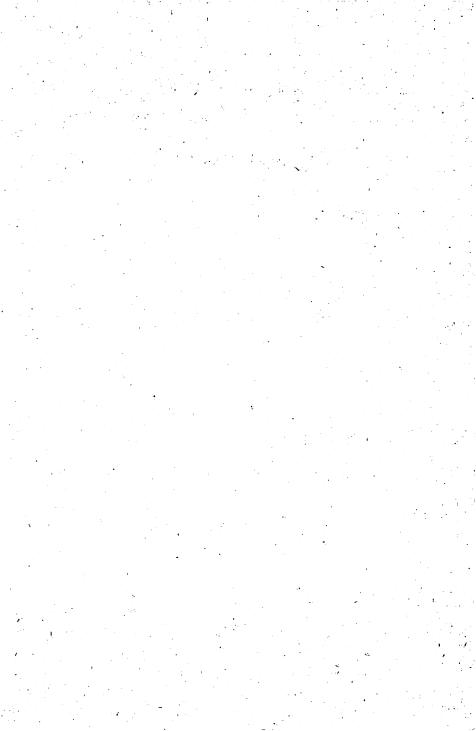
من هذا التناقض الذي حدثنا عنه «ألكسيس كاريل» في كتابه القيم «الإنسان ذلك المجهول»، فأطال الحديث... من هذه العكسية بين تمكن الإنسان من العالم وفقدانه نفسه... من هذا التضاد بين القدرة على تسخير الطبيعة وبين عدم القدرة على تحقيق الحياة السعيدة، العادلة، الجميلة... ينشأ أعمق حزن عرفه تاريخ الإنسان..

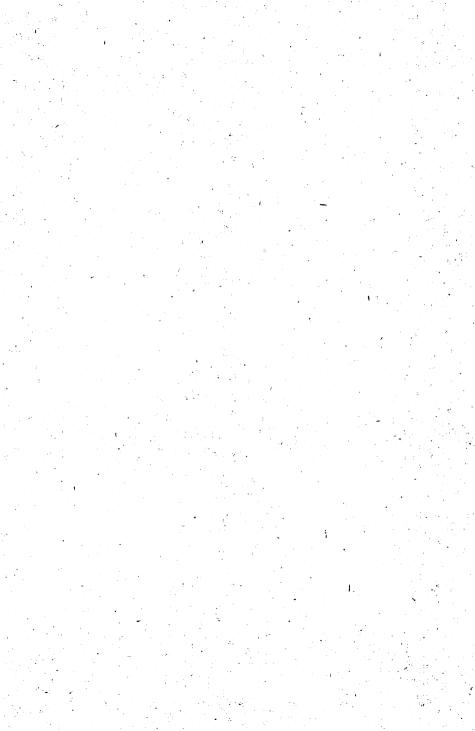
ولكنه حزن لا يريد أصحابه أن يعترفوا به، وهم من أجل أن يغطوا عليه يضطرون الى الصراخ.. الى اتخاذ مواقف غاية في الغرابة والشذوذ واللامعقولية.. إلى ان يمثلوا على أنفسهم وعلى الآخرين.. أن يلبسوا الاقنعة ويختاروا بأنفسهم أن يتحولوا الى مهرجين وبهلوانات، تتجمع الى

بعضها شيئاً فشيئاً، ويزداد عددها يوماً يعد يوم.. وتسير جماعات جماعات في الشوارع والحارات، وتجتاز المدن الصغيرة والكبيرة وهي تضحك وتغني وترقص وتقفز وتصرخ وتتعرى..

إنه عصر «الهيبيز».. عصر التناقض والحزن.. العصر الذي سيتحول الناس فيه جميعاً الى مهرجين وبهلوانات.. الا مَنْ رَحم اللهُ..

اذا أردتم أن تعرفوا مقدار الحزن الذي يترع عصرنا فقوموا بجولة الى واجهات دور السينا، وتأملوا اعلاناتها.. ولا أقول ادخلوها!!



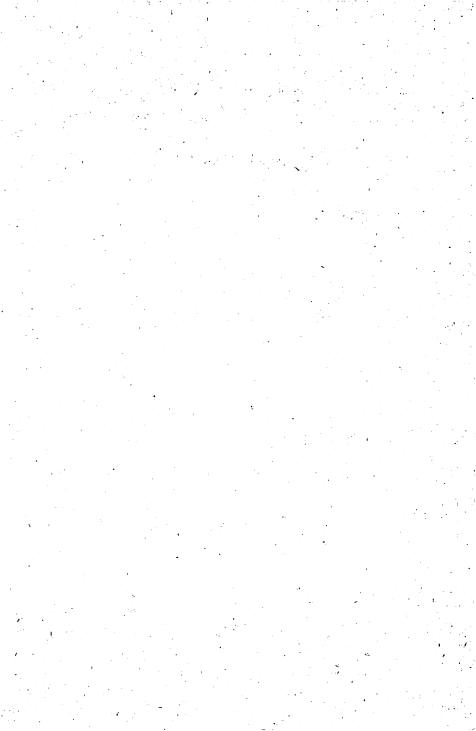




إلى عهد قريب كان المبدأ السائد في علم الطبيعة ان المادة لا تفنى ولا تستحدث، فاذا بنا نسمع بعد ذلك بمبدأ آخر، نقيض تماماً لسالفه، يقول ان المادة تفنى وتستحدث. وكان الناس الى عهد قريب، يعتقدون ان المادة، وقد كشفوا عن تحليلها الجزيئي النهائي، هي الاساس الأخير في بنية الطبيعة والكون، فإذا بهم يكتشفون ان الطاقة والحركة في بنية الذرات ومداراتها الالكترونية، لا المادة، هي هذا الاساس..

وكان العلماء إلى عهد ليس ببعيد، يرون في جاذبية نيوتن تفسيراً لكثير من غوامض الكون ونظم مجموعتنا الشمسية، فإذا بأينشتاين يهدم ب«نسبيته» كثيراً من أعرافهم ومسلماتهم..

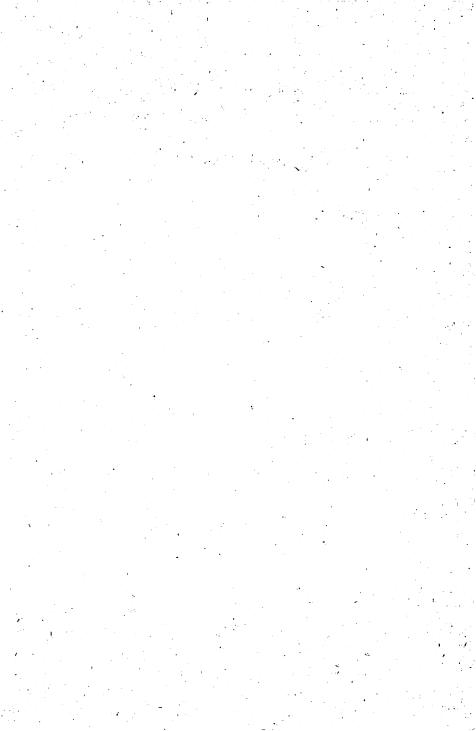
وربما سيجيء اليوم الذي يثبت فيه أن هذه «النسبية» لا تعدو مساحة ما في هذا الكون الشاسع اللانهائي، وأن



إلى عهد قريب كان المبدأ السائد في علم الطبيعة ان المادة لا تفنى ولا تستحدث، فاذا بنا نسمع بعد ذلك بمبدأ آخر، نقيض تماماً لسالفه، يقول ان المادة تفنى وتستحدث. وكان الناس الى عهد قريب، يعتقدون ان المادة، وقد كشفوا عن تحليلها الجزيئي النهائي، هي الاساس الأخير في بنية الطبيعة والكون، فإذا بهم يكتشفون ان الطاقة والحركة في بنية الذرات ومداراتها الالكترونية، لا المادة، هي هذا الاساس..

وكان العلماء إلى عهد ليس ببعيد، يرون في جاذبية نيوتن تفسيراً لكثير من غوامض الكون ونظم مجموعتنا الشمسية، فإذا بأينشتاين يهدم ب«نسبيته» كثيراً من أعرافهم ومسلماتهم..

وربما سيجيء اليوم الذي يثبت فيه أن هذه «النسبية» لا تعدو مساحة ما في هذا الكون الشاسع اللانهائي، وأن



ويوم نحس تناقضاً واضحاً بين معطيات العلم وطروحات القرآن، وهذا بعيد الاحتال، فإنه لن يكون إلا نتيجة طبيعية لنسبية الحقيقة العلمية، كما بيّنا، وعدم استقرارها، وتغيرها الدائم من جهة، وإلى يقينية القرآن الكريم ومعطياته التي منحنا اياها الله الذي وسع كل شيء علماً!!



الكلمة: فعل يلتزم ويثور..

إلى عهد قريب كان المبدأ السائد في علم الطبيعة ان المادة لا تفنى ولا تستحدث، فاذا بنا نسمع بعد ذلك بمبدأ آخر، نقيض تماماً لسالفه، يقول ان المادة تفنى وتستحدث. وكان الناس الى عهد قريب، يعتقدون ان المادة، وقد كشفوا عن تحليلها الجزيئي النهائي، هي الاساس الأخير في بنية الطبيعة والكون، فإذا بهم يكتشفون ان الطاقة والحركة في بنية الذرات ومداراتها الالكترونية، لا المادة، هي هذا الاساس.

وكان العلماء إلى عهد ليس ببعيد، يرون في جاذبية نيوتن تفسيراً لكثير من غوامض الكون ونظم مجموعتنا الشمسية، فإذا بأينشتاين يهدم ب«نسبيته» كثيراً من أعرافهم ومسلماتهم..

وربما سيجيء اليوم الذي يثبت فيه أن هذه «النسبية» لا تعدو مساحة ما في هذا الكون الشاسع اللانهائي، وأن

يقول سارتر: « اذا لم يكن الأديب حليفاً للمظلومين فلن يكون الا شريكاً للظالمين »..

وقفت طويلاً أتأمل «موقف» الأدباء الاسلاميين على ضوء هذه العبارة.. من احرى منهم بالتزامها؟! من أجدر منهم بعرفة حقيقة انهم، ان لم يكونوا مع المظلومين، كانوا مع الظالمين؟

إنه لا يوجد موقف وسط بين الحق والباطل ، ساكن غير متحرك . إن الإنسان والأديب ، بالأحرى الكلمة ، فعل ، كما يقول (سارتر) نفسه ، لا يعدو أن يكون مع الظالم أو المظلوم ، تبريراً للظالم أو انصافاً للمظلوم . إن الكلمة (تغيير) هي في فاعليتها تذكرنا بحديث الرسول (عَيَّالَةً) « من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده ، فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيان »!!

فالكلمة هي الحد الوسط بين اليد وبين الرفض الباطني الصامت.. وهذه الافعال الثلاثة - على كل حال - تمتلك

فعلاً قديراً على التغيير.. ان الرفض الصامت هو الآخر (عمل) من اجل التغيير، تهيئة وتمهيد للكلمة الغاضبة واليد الضاربة.. ومن ثم فان موقف الاديب هو تحميل «الكلمة »كل ما تستطيع حمله في عملية التغيير.. وهو تغيير دايناميكي ابدي ما دام هنالك ظالم ومظلوم.. وان رسولنا (عيلية) قد طرح هذا البعد الدايناميكي لكي يغطي كل زمان ومكان، دوغا توقف...

والمعروف والمنكر يصطرعان، ويتبادلان المواقف كاصطراع الليل والنهار وتبادل الشمس والقمر.. والجهاد، ماض، بتعبير الرسول، الى يوم القيامة..

وهنا نلتقي مع كل حركة (التزام) تسعى الى تحميل الكلمة مسؤوليتها في تاريخ الانسان وحركته صوب الحق والعدل. ولكننا نفترق مع هذه الحركات (كالماركسية والوجودية...) في تحديد طبيعة الظلم ومساحته.. فالشيوعية ترى مساحته مقصورة على حاجة الانسان الى الطعام .. على طاغية يتخم وفقير يموت جوعاً.. والوجودية تراها كذلك، بدافع من مركب نقصها ازاء الماركسية ومن الانتاء اليهودي الواحد لمؤسسي الحركتين، وتضيف اليها مسألة « الحرية » المتبادلة بالالتزام.. والكلمة تجيء – اذن – لتعزيز حرية الانسان وهو يناضل

والعبث واللامعقول..

إننا نعيش فعلاً عصر الغرابة والعبث واللامعقول..

فبينا يسيطر الإنسان المعاصر على الطبيعة هذه السيطرة الفذّة، المعجزة.. وبينا يتمكن من عالمه المادي هذا التمكن العظيم.. نجده في عالم الروح.. في ميدان القيم والعلاقات.. في ساحات الفكر والفن.. في أمداء الرؤى والتصورات والاحلام.. في طرائق المعيشة والتصرف والسلوك.. يفقد اكثر فأكثر السيطرة على نفسه، ويضيع...

من هذا التناقض الذي حدثنا عنه «ألكسيس كاريل» في كتابه القيم «الإنسان ذلك المجهول»، فأطال الحديث... من هذه العلاقة العكسية بين تمكن الإنسان من العالم وفقدانه نفسه... من هذا التضاد بين القدرة على تسخير الطبيعة وبين عدم القدرة على تحقيق الحياة السعيدة، العادلة، الجميلة... ينشأ أعمق حزن عرفه تاريخ الإنسان..

ولكنه حزن لا يريد أصحابه أن يعترفوا به، وهم من أجل أن يغطوا عليه يضطرون الى الصراخ.. الى اتخاذ مواقف غاية في الغرابة والشذوذ واللامعقولية.. إلى ان يمثلوا على أنفسهم وعلى الآخرين.. أن يلبسوا الاقنعة ويختاروا بأنفسهم أن يتحولوا الى مهرجين وبهلوانات، تتجمع الى

والعبث واللامعقول..

إننا نعيش فعلاً عصر الغرابة والعبث واللامعقول..

فبينا يسيطر الإنسان المعاصر على الطبيعة هذه السيطرة الفذّة، المعجزة.. وبينا يتمكن من عالمه المادي هذا التمكن العظيم.. نجده في عالم الروح.. في ميدان القيم والعلاقات.. في ساحات الفكر والفن.. في أمداء الرؤى والتصورات والاحلام.. في طرائق المعيشة والتصرف والسلوك.. يفقد اكثر فأكثر السيطرة على نفسه، ويضيع...

من هذا التناقض الذي حدثنا عنه «ألكسيس كاريل» في كتابه القيم «الإنسان ذلك المجهول»، فأطال الحديث... من هذه العلاقة العكسية بين تمكن الإنسان من العالم وفقدانه نفسه... من هذا التضاد بين القدرة على تسخير الطبيعة وبين عدم القدرة على تحقيق الحياة السعيدة، العادلة، الجميلة... ينشأ أعمق حزن عرفه تاريخ الإنسان..

ولكنه حزن لا يريد أصحابه أن يعترفوا به، وهم من أجل أن يغطوا عليه يضطرون الى الصراخ.. الى اتخاذ مواقف غاية في الغرابة والشذوذ واللامعقولية.. إلى ان يمثلوا على أنفسهم وعلى الآخرين.. أن يلبسوا الاقنعة ويختاروا بأنفسهم أن يتحولوا الى مهرجين وبهلوانات، تتجمع الى

كانوا او مظلومين ﴿ واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ ، ومن هنا - كذلك - اكد القرآن على ان الشعر الحقيقي هو الشعر الملتزم قضية الايمان والانتصار على الظلم ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون. الم تر انهم في كل واد يهيمون. وانهم يقولون ما لا يفعلون؟ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وانتصروا من بعد ما ظلموا... ﴾.

وهذا اصدق تعبير عن مسألة التزام الكلمة، لكونها لا تحمل ايجابيتها الآبان تكون فعلاً يلتزم.. ويثور.. يؤمن.. ويتحرك.. ويظل دائماً على خط المظلومين حتى يتحقق لهم الانتصار على الظالمين!!



نحن نعيش ازمتين



كثيراً ما يسأل الانسان نفسه : لماذا نصاب نحن المسلمين بنفس الامراض النفسية والعصبية والعضوية التي يصاب بها الغربيون، وبخاصة في العقود الأخيرة من القرن العشرين؟ قلق،انهيار عصبي، ضغط دم ، قرحة،اكتئاب.. الى آخره.. واين هي السكينة التي يلقيها الايان في القلوب والسلام الذي يغمر به النفوس؟

ويجيء الجواب: اذا كانوا هم يعيشون أزمة مسطحة واحدة، فاننا نعيش ازمتين .. هم يعيشون أزمة ضياع الروح في عالم مادي يحاصرهم من كل مكان.. ونحن نعيش أزمتي ضياع الروح والأرض في عالم لا يتيح لنا أن نقول كل ما عندنا.. أن غارس تجربتنا العظيمة، المتوحدة، المنقذة، وأن نريها للبشرية قائمة مجسدة، ونعلمهم أن الطريق الوحيد هو هذا...

لو أن الدمار الذي يعانيه الانسان الغربي المعاصر،على شتى مستويات الذات والمجتمع، يقابله تماسك واندفاع في

انسان الشرق لكان من المحتمل أن تنهض الحضارة الشرقية من جديد..

ليس انتقال الحضارات بالأحلام والاماني".. انها لا تنتقل من قارة الى قارة، ومن مكان الى مكان، الا بأن تتهياً لها مسبقاً، أرضية صالحة من الانسان الفعال نفسه ومن الجاعة المتاسكة المبدعة، لأن الله سبحانه « لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »..

ولكن، وا أسفاه..

إن ما نجده من دمار أخلاقي وروحي في الغرب يقابله دمار وتحطم اشد وأنكى في الشرق.. إن الانسان هناك يحمل مرضاً واحداً أو مرضين ويعاني من أزمة واحدة أو أزمتين.. ولكنه هنا يحمل عشرين مرضا ويعاني من ثلاثين أزمة.. واذا كان هناك يجد - أحياناً - بعض المنافذ والابواب لتجاوز امراضه وأزماته فانه هنا محاصر من كل مكان.. لا نوافذ ولا أبواب!!

كيف نأمل في انبثاق الحضارة الشرقية من جديد فيا يسمونه اليوم بالعالم الثالث، أو الكتلة الأفروسية؟

إَن تحرير ارضنا من قبضة الاستعبار لا يكفي.. ولا بد من تحرير نفوسنا ومجتمعاتنا مما تركه فيها الاستعبار عامداً أو

غير عامد.. إن النقلة الحضارية ليست أمنية تتمنى، ولكنها عمل خلاق وجهد مبدع وتغيير دائب.. ومرة اخرى.. «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».



من مسيلمة الكذاب الى الدكتور



كانوا او مظلومين ﴿ واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ ، ومن هنا - كذلك - اكد القرآن على ان الشعر الحقيقي هو الشعر الملتزم قضية الايمان والانتصار على الظلم ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون. الم تر انهم في كل واد يهيمون. وانهم يقولون ما لا يفعلون؟ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وانتصروا من بعد ما ظلموا... ﴾.

وهذا اصدق تعبير عن مسألة التزام الكلمة، لكونها لا تحمل ايجابيتها الا بان تكون فعلاً يلتزم.. ويثور.. يؤمن.. ويتحرك.. ويظل دائماً على خط المظلومين حتى يتحقق لهم الانتصار على الظالمين!!

التميمية وعبد الله بن سبأ.. لكن أين هم؟ وماذا حلّ بغضبهم؟

لقد ماتوا جميعا وأكلهم الدود.. بعضهم مات ميتة طبيعية ، وآخرون مُرّغت انوفهم تحت اقدام الجاهدين عن هذا الدين.. وفئة ثالثة ، وهي اكثرها كمّا ، ازدادت وعياً ونضجاً وهي تغادر مواقع المراهقة والانفعال والشباب، وتدلف الى الرجولة .. فتبرأت من موقفها ذاك ، وعادت لكي تنتمى باخلاص اشد واعمق لهذا الدين.

وبأساليب مختلفة، اشد خفاء والتواء ومكراً، يطلع علينا مرتدو ما بعد النكسة لكي يطلقوا الصرخة نفسها، مدفوعين هذه المرة باغراءات الذهب والفضة من الوراء، وبالخوف من عودة الالتزام الديني في اعقاب الهزيمة النكراء، من الامام.. وهم بين شدهم وجذبهم ذاك يقذفون من أقلامهم، التي بيعت بثمن بحس، ثورة عاتية وغضباً جامحا، ليس ضد «اليهودي» أو «الامريكي» الذي هزمنا، ولكن ضد «السلم» الذي يلوح في الافق ليقودنا الى مشارف النصر.

في البحث، في المقال، في النقد، في الشعر، في القصة القصيرة، في الرواية، في المرحية، وفي كل جهد مكتوب، تكمن الصرخة الغاضبة نفسها «أريد ان احطم هذا الدين»..

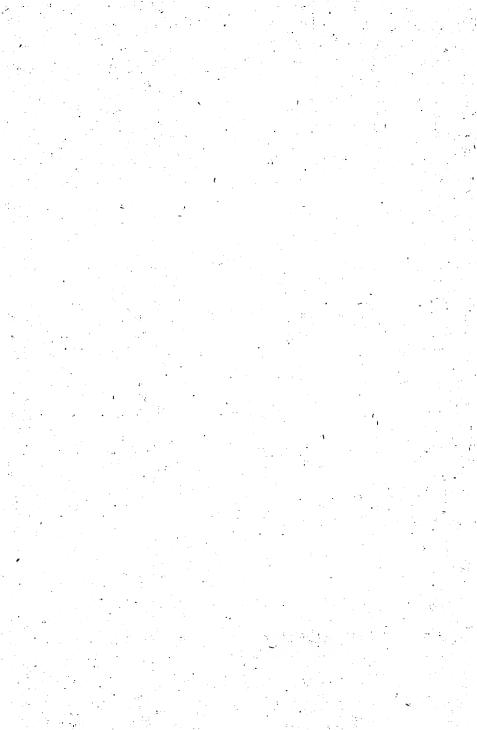
كانوا او مظلومين ﴿ واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ ، ومن هنا - كذلك - اكد القرآن على ان الشعر الحقيقي هو الشعر الملتزم قضية الايمان والانتصار على الظلم ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون. الم تر انهم في كل واد يهيمون. وانهم يقولون ما لا يفعلون؟ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وانتصروا من بعد ما ظلموا... ﴾.

وهذا اصدق تعبير عن مسألة التزام الكلمة، لكونها لا تحمل ايجابيتها الآبان تكون فعلاً يلتزم.. ويثور.. يؤمن.. ويتحرك.. ويظل دائماً على خط المظلومين حتى يتحقق لهم الانتصار على الظالمين!!

المسكين.. «اريد ان احطم هذا الدين».

وكلهم ذهبوا، أو سيذهبون، بالميتة الطبيعية الخاطفة أو بتمريغ الانوف.. أكلهم أو سيأكلهم الدود.. والذي يبقى هو «هذا الدين»، شامخا، خالداً صلباً، بمواجهة كل «التيوس» الذين تحركهم الصهيونية أو يدفعهم الاستعبار لمناطحة هذه الصخرة الشامخة، الخالدة الصلبة.. علها تتفتت يوماً.. ولكن النتيجة تجيء دامًا مصداقاً لقول شاعرنا القديم :

كناطحِ صخرة يوماً ليوهنها فلم يَضُرُها وأوْهَى قرنه الوَعَلُ



إن من أروع الجوانب في بنيان الإسلام وحبكته الإلهية المعجزة هو هذا التوازن الفذ بين الفردية والجهاعية، هذا التناغم الذي يشد المؤمنين في وحدة حيوية تصل حد الروعة والجلال، هذا التناسب بين التوغل بعيداً في أعهاق النفس البشرية للإجابة على أسئلتها، وتنفيذ أشواقها، ومنحها حقها العادل الأصيل.. وبين الامتداد الكامل إلى كل مساحات الجهاعة لتلبية نداءاتها واعطائها دائما الدم والحياة..

إن هذه الهندسة البارعة التي يتناظر فيها ما هو عمودي وما هو أفقي، باتقان محكم، وتتوازن خلالها نزعة «الذات» بكل فرديتها واستقلالها وتميزها، مع نزعات «المجموع» بكل تشابكه وتداخله وتوحده، هو أحد الملامح الأساسية التي تميز الإسلام عن سائر المذاهب والأفكار.

ليس هذا فحسب، بل إن الاسلام ينشيء بين النقيضين (اذا صح التعبير) « موحدا » أصيلا، مبدعا، يصل حداً من

الانسجام والتكيّف تضيع فيه الملامح السالبة، الحاجزة، بين «أنا» و «نحن» وتشتبك العلائق بين الفرد والجماعة، بما يخلق وحدة «حضارية» متكاملة، متجانسة، منسجمة، يتيح لها، وقد تجاوزت سلبيات التصادم والاصطراع والتنافر، أقصى درجات العطاء، وأشد حالات «التوافق» مع نواميس الكون والحياة والإنسان.

وما إن يتجاوز الناس التلقي عن الله، وينساقون باتجاه المتهم وزعاماتهم لكي يأخذوا عنها المذاهب والخطط والعقائد التي لا تصدر إلا عن التخمين، ولا تصاغ إلا بالظن الذي لا يغني عن الحق شيئاً، حتى يجدوا أنفسهم مقهورين على الانجراف مع هذا التيار أو ذاك.. مع الفردية - الذاتية التي تتضخم - بالضرورة - تضخماً مرضياً تنعكس معطياته السالبة على «الجماعة» التي أهملت مطاليبها، وعلى الذات نفسها وقد عوملت وفق مناظير تتجاوز رؤية حجمها الحقيقي.. أو مع الجماعة الخارجية التي تتضخم - بالضرورة هي الأخرى - تضخماً مرضياً تنعكس معطياته السالبة على الفرد الذي أهملت ذاتيته، وعلى الجماعة نفسها وقد عوملت وفق مناظير وينها إلا قطيعاً متشابهاً من الوحدات..

ولن يستطيع أحد - مها أوتي من فكر نافذ وعزم

أصيل - أن يجمع بين النقيضين، وقد اتجه أحدها صوب أقصى اليمين وانطلق الآخر تجاه أقصى اليسار.ولن يكون هناك أملٌ في تحقق «الموحد» الذي يجمع بينها، ما دام الظن والموى والتخمين تكمن وراء كل جهد بشري في هذا السبيل.

إننا، ونحن الآن في قلب القرن العشرين، قرن التنوّر والتحضر والتخطيط والإبداع، ننظر فلا نرى إلا «فردية» زادتها المذاهب والنزعات الوجودية نأيا عن «الجهاعة» وانغلاقا على «الذات».. و «جماعية» زادتها المذاهب والنزعات المادية بعداً عن «الفرد»، وتشابهية صمّاء تذكرنا بخلايا النحل والنمل، وهي تكدّ وتكدح تنظياً وإنتاجاً.. وبإيقاع القطعان التي تساق برتابة عمّلة إلى مراعيها!!

وليس ثمة محاولة جادة، وراء هذا وذاك، للتقريب بين وجهتي النظر وإعادة التوازن والتناظر والاتساق بين القطبين اللذين، بدون تميزها وتكاملها في الوقت نفسه، لن يكون هناك «تيّار» يبعث في الحضارة البشرية المقدرة الدائمة، المتجددة، على التناغم.. والتدفّق.. والإبداع!!



الذين يبحرون ضد أنفسهم



إن «اليهود» كما يبدو من مواقفهم التاريخية وبروتوكولاتهم، هم القوة الدينية السماوية الوحيدة التي أبحرت – ولا تزال – باتجاه مضاد لطبيعة الأديان..

فبينا يقرر القرآن الكريم أنه جاء مصدقاً لما بين يديه من الكتب، وبينا يسعى المسلمون، وبعض أتباع الديانات الكبرى الأخرى، إلى تعزيز القيم الروحية والخلقية في العالم ضد قوى المادة والتفسخ والتفكك والتحلل حتى ولو كانت تلك القيم التي يسندها الإسلام خارجة عن حدود مبادئه ومعطياته، بسبب من اعتقاده في أن انتصار هذه القيم إنما هو انتصار للدين عموما وللإسلام خصوصاً، في المدى البعيد، وتنمية لرصيده وتمهيد للانضام اليه في يوم من الأيام..

نجد اليهود - على العكس من هذا - يسعون إلى محاربة القيم الروحية، غير اليهودية، للأديان الساوية، وإلحاق الدمار بكافة مؤسساتها بدافع من انغلاقهم القومي..

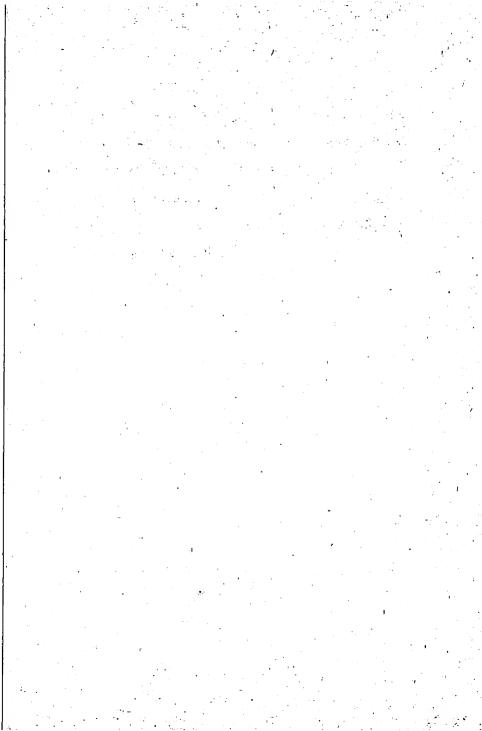
وهم مستعدون، بأموالهم ونسائهم وعبيدهم المسخّرين،

يكن اعتبار «الانسان المسلم»: «مشروعاً دامًا »، بما أنه حركة متدفقة في الذات والمجتمع، وسعي البدي لا يتوقف عن التشكل والتغير، ولا يكف عن الطموح الى الكمال الذي لم يضع له الاسلام حدوداً نهائية أو تصمياً مسبقاً!!

إن الاسلام يكشف عن البداهات ويضع القواعد الاساسية لتنظيم وتسيير الذات والجهاعة وفق اكبر قدر من التناسب والتوازن والتناظر، من أجل أن يتيح لهما الأرضية التي تمكنهما من العطاء الدائم، متمثلاً «بالجهاد» على مستوى النفس والعالم، وفي كل مساحات العمل البشري اياً كان.. هذا في الوقت الذي تتجاوز فيه المذاهب الوضعية - بمختلف صيغها الذي تتجاوز فيه المذاهب الوضعية - بمختلف ميالوجودي » - على سبيل المثال - مشروع تغير دائم على حساب «الآخرين ». ويغدو «المادي » المنشد إلى «الوحدة الجماعية »، حركة تشابهية صمّاء على حساب «الذات ».. لكن الاسلام - من جهة اخرى - يدع الطريق

يكن اعتبار «الانسان المسلم»: «مشروعاً دامًا »، بما أنه حركة متدفقة في الذات والمجتمع، وسعي البدي لا يتوقف عن التشكل والتغير، ولا يكف عن الطموح الى الكمال الذي لم يضع له الاسلام حدوداً نهائية أو تصمياً مسبقاً!!

إن الاسلام يكشف عن البداهات ويضع القواعد الاساسية لتنظيم وتسيير الذات والجهاعة وفق اكبر قدر من التناسب والتوازن والتناظر، من أجل أن يتيح لهما الأرضية التي تمكنهما من العطاء الدائم، متمثلاً «بالجهاد» على مستوى النفس والعالم، وفي كل مساحات العمل البشري اياً كان.. هذا في الوقت الذي تتجاوز فيه المذاهب الوضعية - بمختلف صيغها الذي تتجاوز فيه المذاهب الوضعية - بمختلف ميالوجودي » - على سبيل المثال - مشروع تغير دائم على حساب «الآخرين ». ويغدو «المادي » المنشد إلى «الوحدة الجماعية »، حركة تشابهية صمّاء على حساب «الذات ».. لكن الاسلام - من جهة اخرى - يدع الطريق



العمل الذي يهزّ أفئدة الناس

المسكين.. «اريد ان احطم هذا الدين».

وكلهم ذهبوا، أو سيذهبون، بالميتة الطبيعية الخاطفة أو بتمريغ الانوف.. أكلهم أو سيأكلهم الدود.. والذي يبقى هو «هذا الدين»، شامخا، خالداً صلباً، بمواجهة كل «التيوس» الذين تحركهم الصهيونية أو يدفعهم الاستعبار لمناطحة هذه الصخرة الشامخة، الخالدة الصلبة.. علها تتفتت يوماً.. ولكن النتيجة تجيء دامًا مصداقاً لقول شاعرنا القديم :

كناطحِ صخرة يوماً ليوهنها فلم يَضُرُها وأُوْهَى قرنه الوَعَلُ إن أيّاً من الأعمال الفنية أو الأدبية الكبيرة في تاريخ الآداب والفنون، لم تنل خلودها إلا بما كان يمتلكه مؤلفها من قدرة على الصياغة الفنية والرؤية الشاملة اللتين تحيلان العمل المبدع الى « سيمفونية » بعيدة الأغوار يُنصت اليها القارىء أو السامع أو المشاهد، وهي تخفت حيناً لتعبّر عن «منولوج» الانسان الداخلي وهو يتحدث الى نفسه عن مآسى الحياة وأحزانها.. وتعلو - حينا آخر - لتصمّ الآذان بصراخ يضج بالرفض والثورة والتمرد ... سيمفونية يمتزج فيها الفن بالفكر، والشعر بالتاريخ، واللغة بالموسيقي، فتمنح الانسان لحناً هارمونياً متوافقاً ينبض بالحيوية والحركة ويتداعى على ديمومة الوجدان البشري، وينفتح على آفاق العالم وامداء الكون.. فلا يملك القارىء أو السامع أو المشاهد إلا ان يشدّ ذاته اليها ليقرأها كوحدة، ولينصت اليها كلحن من الالحان العلوية التي تناغي الانسان في ساعات تيهه وحزنه وغربته، فتمنحه الطريق والفرح والانتاء..



المسكين.. «اريد ان احطم هذا الدين».

وكلهم ذهبوا، أو سيذهبون، بالميتة الطبيعية الخاطفة أو بتمريغ الانوف.. أكلهم أو سيأكلهم الدود.. والذي يبقى هو «هذا الدين»، شامخا، خالداً صلباً، بمواجهة كل «التيوس» الذين تحركهم الصهيونية أو يدفعهم الاستعبار لمناطحة هذه الصخرة الشامخة، الخالدة الصلبة.. علها تتفتت يوماً.. ولكن النتيجة تجيء دامًا مصداقاً لقول شاعرنا القديم :

كناطحِ صخرة يوماً ليوهنها فلم يَضُرُها وأُوْهَى قرنه الوَعَلُ



الله.. وفرعون.. ورائد الفضاء!!



إلى عهد قريب كان المبدأ السائد في علم الطبيعة ان المادة لا تفنى ولا تستحدث، فاذا بنا نسمع بعد ذلك بمبدأ آخر، نقيض تماماً لسالفه، يقول ان المادة تفنى وتستحدث. وكان الناس الى عهد قريب، يعتقدون ان المادة، وقد كشفوا عن تحليلها الجزيئي النهائي، هي الاساس الأخير في بنية الطبيعة والكون، فإذا بهم يكتشفون ان الطاقة والحركة في بنية الذرات ومداراتها الالكترونية، لا المادة، هي هذا الاساس..

وكان العلماء إلى عهد ليس ببعيد، يرون في جاذبية نيوتن تفسيراً لكثير من غوامض الكون ونظم مجموعتنا الشمسية، فإذا بأينشتاين يهدم ب«نسبيته» كثيراً من أعرافهم ومسلماتهم..

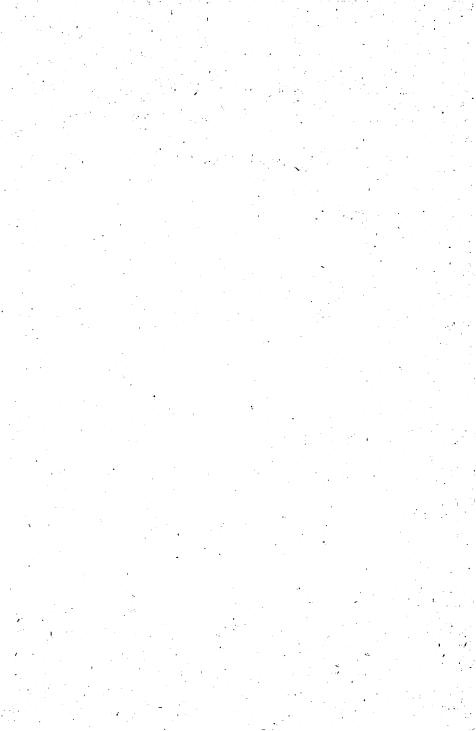
وربما سيجيء اليوم الذي يثبت فيه أن هذه «النسبية» لا تعدو مساحة ما في هذا الكون الشاسع اللانهائي، وأن

السادس والعشرين.. سواء.. نفس الحجج، ونفس الاسلوب احيانا..ويقذف بها – بصلف – ناس عاديون لا يملكون حولاً ولا قوة، كما يلقيها فراعنة وطغاة وزعاء ومترفون يملكون الكثير من اسباب الحول والقوة والجبروت..

رائد الفضاء يعتقد انه سيلتقي بالله وهو يدور بمركبته في فضاء قريب من الارض، قرب قباء من يثرب، بحساب الابعاد الكونية، وانه ربما سيطلُ على الملكوت من نافذته.. فلما لم يتحقق ظنه عاد الى الارض لكي يعلن عن كذب القائلين بوجود الله..

وفرعون يطلب من وزيره ان يبني له صرحا ذا درج من طين محمى، لا يعدو ان يكون « شيئا » إزاء اية ناطحة سحاب في عصرنا الراهن، لكي يصعد عليه لعله يطلع الى إله موسى، وهو يحمل في نفسه - مسبقاً - احتالاً قوياً بأنه لن يرى شيئا وان موسى من الكاذبين!!

ومثل هذا، كثير من المواقف الفجّة، والحجج السخيفة والتصورات الساذجة، طرحها الجاهليون بوجه الرسول عَلَيْكُ وبوجه دعوته اياهم الى دينه «القم» ليس أقلها سخفاً اتهامه بأنه شاعر أو كاهن أو مجنون، وإنه يتلقى معلوماته - وهو الأمي - عن رجالات الاديان السابقين، وهم ليسوا عرباً



كانوا او مظلومين ﴿ واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ ، ومن هنا - كذلك - اكد القرآن على ان الشعر الحقيقي هو الشعر الملتزم قضية الايمان والانتصار على الظلم ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون. الم تر انهم في كل واد يهيمون. وانهم يقولون ما لا يفعلون؟ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وانتصروا من بعد ما ظلموا... ﴾.

وهذا اصدق تعبير عن مسألة التزام الكلمة، لكونها لا تحمل ايجابيتها الآبان تكون فعلاً يلتزم.. ويثور.. يؤمن.. ويتحرك.. ويظل دائماً على خط المظلومين حتى يتحقق لهم الانتصار على الظالمين!!

نكون مهندسين أو لا نكون...

إلى عهد قريب كان المبدأ السائد في علم الطبيعة ان المادة لا تفنى ولا تستحدث، فاذا بنا نسمع بعد ذلك بمبدأ آخر، نقيض تماماً لسالفه، يقول ان المادة تفنى وتستحدث. وكان الناس الى عهد قريب، يعتقدون ان المادة، وقد كشفوا عن تحليلها الجزيئي النهائي، هي الاساس الأخير في بنية الطبيعة والكون، فإذا بهم يكتشفون ان الطاقة والحركة في بنية الذرات ومداراتها الالكترونية، لا المادة، هي هذا الاساس..

وكان العلماء إلى عهد ليس ببعيد، يرون في جاذبية نيوتن تفسيراً لكثير من غوامض الكون ونظم مجموعتنا الشمسية، فإذا بأينشتاين يهدم ب«نسبيته» كثيراً من أعرافهم ومسلماتهم..

وربما سيجيء اليوم الذي يثبت فيه أن هذه «النسبية» لا تعدو مساحة ما في هذا الكون الشاسع اللانهائي، وأن

على المفكر الاسلامي الحديث أن يغدو «مهندساً» يلتزم قواعد التقابل والتناظر والتناسب، ويعمل بموجب التوزيع الرياضي الصارم للأبعاد والمساحات، ويدرك أن «العمل الفكري» لا يستوي على سوقه إلا بأن يلتزم فيه شرطان أساسيان هما «العالم» و «الجمال» أو «المحتوى» و «الأسلوب» أو كما يقول قدماؤنا «المعنى» و «المبنى».

إن الكتابات الإنشائية ذات الطابع الخطابي، والتي تعتمد التهويل والمبالغة لم تعد تخدم الفكر الإسلامي، بل على العكس تقف في صف عمليات الهدم، غير المتعمدة والتي تسعى الى عرض الإسلام، كما كان يتم في القرن الماضي، والنصف الأول من القرن الراهن، وفق أسلوب منبري يستثير العاطفة استثارة موقوتة، ثم ما تلبث آثاره أن تنطفىء في النفس وتتحول إلى جهل وملل ربما يقودان الى ذلك الرفض غير المسؤول لقيم الإسلام نفسه، تلك التي لم يعتمد في توصيلها للمثقفين والمتعلمين أسلوباً جاداً محدداً.

إلى عهد قريب كان المبدأ السائد في علم الطبيعة ان المادة لا تفنى ولا تستحدث، فاذا بنا نسمع بعد ذلك بمبدأ آخر، نقيض تماماً لسالفه، يقول ان المادة تفنى وتستحدث. وكان الناس الى عهد قريب، يعتقدون ان المادة، وقد كشفوا عن تحليلها الجزيئي النهائي، هي الاساس الأخير في بنية الطبيعة والكون، فإذا بهم يكتشفون ان الطاقة والحركة في بنية الذرات ومداراتها الالكترونية، لا المادة، هي هذا الاساس..

وكان العلماء إلى عهد ليس ببعيد، يرون في جاذبية نيوتن تفسيراً لكثير من غوامض الكون ونظم مجموعتنا الشمسية، فإذا بأينشتاين يهدم ب«نسبيته» كثيراً من أعرافهم ومسلماتهم..

وربما سيجيء اليوم الذي يثبت فيه أن هذه «النسبية» لا تعدو مساحة ما في هذا الكون الشاسع اللانهائي، وأن

يعتمد أدوات «اللغة» المناسبة لإيصال أكبر قدر من الأفكار إلى عقول المثقفين ونفوسهم، إذ يجب أن يكون هناك ترابط عضوي وتسلسل منطقي بين الكلمات والجمل والفقرات والفصول، بحيث أن أي تغيير في وضع واحدة منها، تقدياً أو تأخيراً، يقود الى تفكك في البحث واضطراب في صياغته. رغم أن أبحاثاً كثيرة تطرح، ولشدة تفككها وعدم تماسكها، فإن بإمكاننا أن نجري تغييراً في مواقع كلماتها وجملها وفقراتها وفصولها دون أن يلحق بالبحث أي أذى، تماماً كما يبني إنسان ما بيتاً كثير الحجرات والردهات، وهو لا يعرف من علم الهندسة المعارية شيئاً، ومن ثم فإن التفكك والفوضي وانعدام الجناظر واختلال التناسب سيمكن أي إنسان من أن يجري تغييراً في التصميم المرتجل دون أن يلحق بالبيت أي أذى..

إن الكلمة الزائدة التي لا تخدم معنى في الجملة بجب أن تستبعد، والجملة العابرة التي لا تأخذ مكاناً مناسباً في الفقرة يجب أن تلغى، والفقرة المرتجلة التي لا تؤدي دورها البنائي إزاء رفيقاتها يجب أن تهمل، ومجموع الفقرات التي لا تحمل في طياتها فكرة جديدة أو عنصراً أساسياً في البحث يجب ألا تأخذ أية مساحة على الورق..

ليس هذا فحسب بل إن البحث بجموعه، إن لم يضف

جديداً الى ميادين الثقافة الإسلامية، يجب ألا يُهْدَر فيه أي جهد بإمكانه أن يصرّف في طرق باب جديد أو التحرك الى أفق لم يصل إليه أحد قبلاً، أو يكشف عن حقيقة نحن في أمس الحاجة في السباق الزمني الراهن، للكشف عنها..

والمؤمنون كما يصفهم القرآن - ﴿ يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾... وأي خير أكثر من أن نوفر جهودنا وطاقاتنا الخلاقة، لكي نسارع بها في ميدان الفكر، بدلاً من أن نجتر الأبحاث المتشابهة ونبداً فيها ونعيد.. وبدلاً من أن نعالج الموضوع الواحد أكثر من عشرين مرة ونحن نتمطى ونتثاءب ونعاني الملل، تماماً كما يحدث لمصلي الجمعة وهم يستمعون إلى خطب، أصبحت لتكرارها تبعث على الخدر وتدفع إلى النوم دفعاً؟!

ولنتصفح - على سبيل المثال - أية مجلة إسلامية فإننا سنجد - إلا في قلة نادرة منها - أبحاثاً وموضوعات مكرورة، وبخاصة تلك التي تنشر في «المناسبات الإسلامية» كالمولد والهجرة والإسراء ورمضان والحج والأعياد... وهي مواضيع تحمل في طياتها خطيئتين بحق الفكر الإسلامي والقارىء المسلم، أولاهما إنشائيتها الفاضحة وعدم احتوائها على قدر كاف من الأفكار والتصاميم الذهنية، وثانيتهما

إلى عهد قريب كان المبدأ السائد في علم الطبيعة ان المادة لا تفنى ولا تستحدث، فاذا بنا نسمع بعد ذلك بمبدأ آخر، نقيض تماماً لسالفه، يقول ان المادة تفنى وتستحدث. وكان الناس الى عهد قريب، يعتقدون ان المادة، وقد كشفوا عن تحليلها الجزيئي النهائي، هي الاساس الأخير في بنية الطبيعة والكون، فإذا بهم يكتشفون ان الطاقة والحركة في بنية الذرات ومداراتها الالكترونية، لا المادة، هي هذا الاساس.

وكان العلماء إلى عهد ليس ببعيد، يرون في جاذبية نيوتن تفسيراً لكثير من غوامض الكون ونظم مجموعتنا الشمسية، فإذا بأينشتاين يهدم ب«نسبيته» كثيراً من أعرافهم ومسلماتهم..

وربما سيجيء اليوم الذي يثبت فيه أن هذه «النسبية» لا تعدو مساحة ما في هذا الكون الشاسع اللانهائي، وأن



بورجوازي.. بورجوازي قــذر.. ميول بورجوازية.. أخلاق بورجوازية.. قصيدة بورجوازية.. وهكذا تتلاحق هذه الكلمة ذات الإيجاء الرجعي المثير من أفواه الماركسيين ومقلديهم تتلاحق لكي تسم كل ممارسة تند عن إطار الفكر الماركسي، وكل خبرة تتجاوز معطياتهم، وكل تجربة تغاير تجربتهم، وكل رؤية أو موقف في الكون والعالم تنأى عن رؤاهم ومواقفهم..

ويبدو أن هذا السلاح، الذي يعتمد التفسير المادي في تقسيمه المعروف للمراحل التاريخية بدأ يفقد بالتدريج، بعده الفكري، ويتحول على ألسنة المنتمين والمقلدين الى سلاح نفسي يشهرونه ببساطة رخيصة ضد كل من يخرج على قواعد فكرهم الجاهز، بحيث أننا صرنا نجد هذه العبارة تطلق بكثافة غير مبرّرة، تجاه سائر المارسات والتجارب المعاصرة بشكل يثير القرف والاشمئزاز.. بل انهم يطلقونها، عبر المعسكرات الماركسية نفسها، ضد بعضهم البعض، رغم تغير المعسكرات الماركسية نفسها، ضد بعضهم البعض، رغم تغير



ومن ثم فان حكماً يصدره عالم ككاريل على الانسان وطبيعة علاقاته المعقدة،المركبة المتشابكة، بالعالم الموضوعي، اجدر بالاحترام والتقبل من حكم يصدره عالم اقتصاد وفيلسوف اجتاع (كاركس)، لم يَقْض يوماً في الختبر يبحث ويحلل ويجرب من أجل الكشف، بطريقة علميه مقنعه، عن طبيعة العلاقة بين الانسان - فردا وجماعة - وبين الواقع الموضوعي الذي يتحرك فيه أو قبالته،وان ما يقوله (ماركس) في هذا الجال لا يعدو دائرة الظن والتخمين اما ما يقوله (كاريل) فهو اقرب الى العلم والتجريب...

وهكذا فان معطيات (كاريل) في القرن العشرين، وقد تطورت طرائق البحث كثيرا، أضعفت الى حدّ كبير معطيات ماركس عن طبيعة العلاقة المتباطة بين الانسان والبيئة، تلك التي وصفها كثير من علماء النفس بأنها تميل الى التسطيح والتبسيط اكثر من اللازم، وانها أقل كفاية من تفسير العلاقة المتشابكة هذه.. أضعفتها ليس فقط لأن «كاريل» جاء بعد «ماركس» بأكثر من نصف قرن، حيث تقدَّم العلم خطوات مذهلة... بل لأن «كاريل» عالم و «ماركس» مؤرخ وفيلسوف، وحكم العالم أقرب إلى الصواب من حكم المؤرخ أو الفيلسوف!

فعلاً قديراً على التغيير.. ان الرفض الصامت هو الآخر (عمل) من اجل التغيير، تهيئة وتمهيد للكلمة الغاضبة واليد الضاربة.. ومن ثم فان موقف الاديب هو تحميل «الكلمة »كل ما تستطيع حمله في عملية التغيير.. وهو تغيير دايناميكي ابدي ما دام هنالك ظالم ومظلوم.. وان رسولنا (عيلية) قد طرح هذا البعد الدايناميكي لكي يغطي كل زمان ومكان، دوغا توقف...

والمعروف والمنكر يصطرعان، ويتبادلان المواقف كاصطراع الليل والنهار وتبادل الشمس والقمر.. والجهاد، ماض، بتعبير الرسول، الى يوم القيامة..

وهنا نلتقي مع كل حركة (التزام) تسعى الى تحميل الكلمة مسؤوليتها في تاريخ الانسان وحركته صوب الحق والعدل. ولكننا نفترق مع هذه الحركات (كالماركسية والوجودية...) في تحديد طبيعة الظلم ومساحته.. فالشيوعية ترى مساحته مقصورة على حاجة الانسان الى الطعام .. على طاغية يتخم وفقير يموت جوعاً.. والوجودية تراها كذلك، بدافع من مركب نقصها ازاء الماركسية ومن الانتاء اليهودي الواحد لمؤسسي الحركتين، وتضيف اليها مسألة « الحرية » المتبادلة بالالتزام.. والكلمة تجيء – اذن – لتعزيز حرية الانسان وهو يناضل

موقف الإيمان والمحبة

والعبث واللامعقول..

إننا نعيش فعلاً عصر الغرابة والعبث واللامعقول..

فبينا يسيطر الإنسان المعاصر على الطبيعة هذه السيطرة الفذّة، المعجزة.. وبينا يتمكن من عالمه المادي هذا التمكن العظيم.. نجده في عالم الروح.. في ميدان القيم والعلاقات.. في ساحات الفكر والفن.. في أمداء الرؤى والتصورات والاحلام.. في طرائق المعيشة والتصرف والسلوك.. يفقد اكثر السيطرة على نفسه، ويضيع...

من هذا التناقض الذي حدثنا عنه «ألكسيس كاريل» في كتابه القيم «الإنسان ذلك المجهول»، فأطال الحديث... من هذه العكسية بين تمكن الإنسان من العالم وفقدانه نفسه... من هذا التضاد بين القدرة على تسخير الطبيعة وبين عدم القدرة على تحقيق الحياة السعيدة، العادلة، الجميلة... ينشأ أعمق حزن عرفه تاريخ الإنسان..

ولكنه حزن لا يريد أصحابه أن يعترفوا به، وهم من أجل أن يغطوا عليه يضطرون الى الصراخ.. الى اتخاذ مواقف غاية في الغرابة والشذوذ واللامعقولية.. إلى ان يمثلوا على أنفسهم وعلى الآخرين.. أن يلبسوا الاقنعة ويختاروا بأنفسهم أن يتحولوا الى مهرجين وبهلوانات، تتجمع الى

إن المسلم العميق الايمان، الصادق الحبّة لله، المتشبّع حق أعمق أعهاقه بروح القرآن.. يقف دائماً في الموقع الصحيح، المنطقي، الوسط، الذي تقوده اليه فطرته النقيّة ووجدانه الديني، وفكره الايمانيّ الملتزم..

دائماً في نقطة الوسط وهو يجابه موجات (الجدل) التي لا تنتهي والتي تثيرها دائماً المسائل «الكلامية»في الطبيعة وما وراءها، والتي يقف فيها الأقل ايمانا ومحبة وفهماً للقرآن، موقفاً متطرفاً ذات اليمين أو ذات الشمال.

ولست أدري لماذا ينتاب الانسان المسلم أحيانا، ذلك الرثاء، المشوب بكثير من الإنكار، لعديد من المفكرين والفلاسفة ورجالات الكلام الإسلاميين وهم ينساقون - رغم عقولهم الكبيرة - متعصّبين، متطرفين، متوترين، الى حدّ التشنّج، بانتائهم الى هذا التيّار أو ذاك،ناسين ما تتطلبه بذاهات الإسلام والإيمان من ضرورة عدم مغادرة الموقف الوسط الشامل المتناغم مع معطيات القرآن، المتجاوب مع

جزئياته وتفاصيله جميعا.

أما كان تاريخنا العقائدي في غنى عن (تظاهرات) المعتزلة الفكرية وتشبثهم المبالغ فيه بالعقل واضطهادهم المذهبي لكل معارض، وهم يقرأون في ما يزيد عن سبعمائة وخمسين موضعاً من القرآن دعوة لإعال الفكر البشري في كل صغيرة وكبيرة، وفي تحريك العقل، تلك الهبة الإلهية المعجزة لحل المسائل الأساسية في حياة الانسان وفهم الأبعاد الشاملة للمعطيات القرآنية.. لكنهم يقرأون في الوقت نفسه، ان العقل وحده ليس بقادر على انتشال الانسان من معضلاته الكونية وانه لو كان قادرا فعلاً على تحقيق هذه المهمة، لم تكن هناك حاجة اساساً لمجيء الأديان وإنزال القرآن.. ويلتقون في عشرات المواضع القرآنية بحقيقة أن وراء هذا العالم، الذي يمكن للعقل أن يتعامل معه، عالم غيبي شامل بعيد، خفي محيط، يندّ عن قدرات الانسان العقلية والحسية، ولكنه حق واقع كما أن عالم الطبيعة الملموس حق واقع، وان الايمان به والتسليم بوجوده يجيء بمثابة حجر الزاوية لكل ايمان حقيقي كامل؟

فاذا كان كتاب الله يقدّم لنا المسألة بطرفيها، فلماذانجنح صوب هذا الاتجاه أو ذاك، ونغادر الموقع الوسطيّ الشامل، المتوازن، الذي منحنا اياه القرآن ان كنا محبين فعلاً لله، لا

لأنفسنا، مدركين لعقيدة الإسلام، محيطين بضرورات كتابه المعجز؟

وغير المعتزلة فرق كثيرة، وفلاسفة وعلماء كلام، اكثر، كلهم بسبب من توترهم، غادروا الموقع الذي تقتضيه البداهات الايمانية وانتهوا الى حيث لم يرد القرآن ان يذهبوا اساساً، بعضهم مع غرور العقل البشري، وبعضهم مع شطحات الروح والخيال..

واغلب الظن ان ثقتهم العمياء بمعطيات الفكر الوضعي اليوناني او الهندي أو الهليني، وانكبابهم عليه يلتهمونهالتهاما، دون ان يقيسوها – الا قلة منهم – بمقاييسهم الإسلامية الأصيلة، ودون ان يعملوا فيها نقداً واختباراً وتمحيصاً من أجل أن يعيدوا صياغتها وفق الضوء الجديد الساطع الذي جاء به كتاب الله.. ومن أجل أن يقبسوا منها ما ينسجم وبداهات هذا (الضوء).. هو السبب الكبير وراء هذا التطرُّف، والصراع، الذي شَهِدَتْهُ فترات طويلة من عصر حضارتنا ونمونا.

وهذا لا يعني - بطبيعة الحال - رفض معطيات الفكر البشري شرقاً وغرباً، فالرسول عليه السلام يعلمنا «إن الحكمة ضالة المؤمن أينا وجدها التقطها»... لكن هنالك

رآها الرسول في منامه.. ويشكك في حسّية المعطيات القرآنية عن الجنة والنار.. وحيمًا وجد صاحبنا حديثا نبويا فيه شيء من بعد غيبي او اشارة ميتافيزيقية رفض توثيق الحديث، حتى ولو اوردته الصحاح الستة، ما دام معظم ما اوردته هذه الصحاح لا يعدو أن يكون أحاديث آحاد، واما اذا وردت الاشارة في القرآن فهنالك التأويلات (الباطنية) التي تردّ الآية أو المقطع القرآني الى منهج علمي محسوس في التفسير والتحليل.. فلما قلت له : و «الوحي»؟ أليس هو ظاهرة غيبية صرفة لا تخضع للاختبار العقلي، وان مجرد التسليم بها يقودنا الى التسليم بسائر ما ينبثق عنها من وقائع غيبية موثقة وردت في سيرة الرسول عين احاديث صحيحة وآيات وردت في سيرة الرسول عين العاديث صحيحة وآيات بينات ؟ سكت الرجل ولم يحر جوابا!!

وفي مقابل هذا التوتّر الذي يعيد الى الاذهان ثانية موقف المعتزلة.. كان هنالك خطيئة اخرى، تتمثل في التطرف والجنوح صوب الجهة الاخرى..وحشد سيرة رسولنا عَيَّاتِكُم بعشرات الوقائع الغيبية، والخيالية، والاسطورية التي ما أنزل الله بها من سلطان، وتحميل حياته بمئات من الدلالات والمعجزات التي تخرج به أساساً عن أن يكون رسولاً بشرا، ذلك الذي حدثنا عنه القرآن (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما المكم اله واحد!! وحدثنا هو عن نفسه (انما انا ابن

غقلي خالص. وقد سبقتهم إلى هذا وربا تأثر بها، عيسوية أصفهان وهي فرقة يهودية (!!) ادعت في أثناء خلافة عبد الملك الأموي بأن محمداً وعيسى كانا نبيين صادقين بالنسبة إلى وطنيها وشعبيها اللذين ظهرا فيها فطوَّر الاساعيليون هذه الفكرة وصاغوها نظاماً محكماً أصبحت بموجبه الصحة النسبية لجميع الأديان معترفاً بها وألغي التعصب الديني إلغاءً تاماً.

وخير تعبير عن هذا نجده في رسائل «إخوان الصفا»، ومنهانقتبس العبارات التالية التي تمثل النغمة العامة للحرية الدينية (.. وينبغي لاخواننا – أيدهم الله – أن لا يعادوا علماً من العلوم أو يهجروا كتاباً من الكتب، ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم جميعها..)..!!»

إننا هنا لسنا بإزاء نقص في الإيمان أو الحبة وعدم تشبّع بمفاهيم القرآن وبداهاته التي تفرض أن ﴿من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾، ولكننا بإزاء مؤامرة خطيرة شاملة وقفت خلفها كل القوى الدينية المهزومة من أجل أن تسلّط نارها على قيم الإسلام وحدوده، وشخصيته المستقلة المتفرّدة لكي تذيبها وتدمّرها جميعاً باسم التحرّر والانفتاح.. إن « برنارد لويس » هنا يعدّد

والعبث واللامعقول..

إننا نعيش فعلاً عصر الغرابة والعبث واللامعقول..

فبينا يسيطر الإنسان المعاصر على الطبيعة هذه السيطرة الفذّة، المعجزة.. وبينا يتمكن من عالمه المادي هذا التمكن العظيم.. نجده في عالم الروح.. في ميدان القيم والعلاقات.. في ساحات الفكر والفن.. في أمداء الرؤى والتصورات والاحلام.. في طرائق المعيشة والتصرف والسلوك.. يفقد اكثر السيطرة على نفسه، ويضيع...

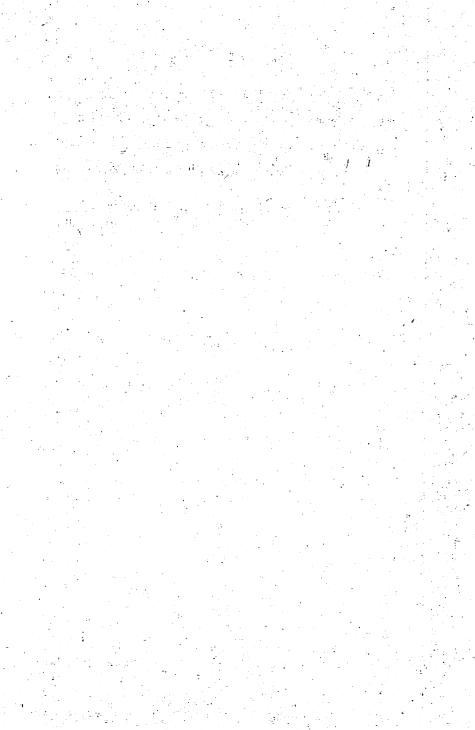
من هذا التناقض الذي حدثنا عنه «ألكسيس كاريل» في كتابه القيم «الإنسان ذلك المجهول»، فأطال الحديث... من هذه العلاقة العكسية بين تمكن الإنسان من العالم وفقدانه نفسه... من هذا التضاد بين القدرة على تسخير الطبيعة وبين عدم القدرة على تحقيق الحياة السعيدة، العادلة، الجميلة... ينشأ أعمق حزن عرفه تاريخ الإنسان..

ولكنه حزن لا يريد أصحابه أن يعترفوا به، وهم من أجل أن يغطوا عليه يضطرون الى الصراخ.. الى اتخاذ مواقف غاية في الغرابة والشذوذ واللامعقولية.. إلى ان يمثلوا على أنفسهم وعلى الآخرين.. أن يلبسوا الاقنعة ويختاروا بأنفسهم أن يتحولوا الى مهرجين وبهلوانات، تتجمع الى

الانسجام والتكيّف تضيع فيه الملامح السالبة، الحاجزة، بين «أنا» و «نحن» وتشتبك العلائق بين الفرد والجماعة، بما يخلق وحدة «حضارية» متكاملة، متجانسة، منسجمة، يتيح لها، وقد تجاوزت سلبيات التصادم والاصطراع والتنافر، أقصى درجات العطاء، وأشد حالات «التوافق» مع نواميس الكون والحياة والإنسان.

وما إن يتجاوز الناس التلقي عن الله، وينساقون باتجاه المتهم وزعاماتهم لكي يأخذوا عنها المذاهب والخطط والعقائد التي لا تصدر إلا عن التخمين، ولا تصاغ إلا بالظن الذي لا يغني عن الحق شيئاً، حتى يجدوا أنفسهم مقهورين على الانجراف مع هذا التيار أو ذاك.. مع الفردية - الذاتية التي تتضخم - بالضرورة - تضخماً مرضياً تنعكس معطياته السالبة على «الجماعة» التي أهملت مطاليبها، وعلى الذات نفسها وقد عوملت وفق مناظير تتجاوز رؤية حجمها الحقيقي.. أو مع الجماعة الخارجية التي تتضخم - بالضرورة هي الأخرى - تضخماً مرضياً تنعكس معطياته السالبة على الفرد الذي أهملت ذاتيته، وعلى الجماعة نفسها وقد عوملت وفق مناظير وينها إلا قطيعاً متشابهاً من الوحدات..

ولن يستطيع أحد - مها أوتي من فكر نافذ وعزم



الصلاة.. ذلك التناظر المدهش

المسكين.. «اريد ان احطم هذا الدين».

وكلهم ذهبوا، أو سيذهبون، بالميتة الطبيعية الخاطفة أو بتمريغ الانوف.. أكلهم أو سيأكلهم الدود.. والذي يبقى هو «هذا الدين»، شامخا، خالداً صلباً، بمواجهة كل «التيوس» الذين تحركهم الصهيونية أو يدفعهم الاستعبار لمناطحة هذه الصخرة الشامخة، الخالدة الصلبة.. علها تتفتت يوماً.. ولكن النتيجة تجيء دامًا مصداقاً لقول شاعرنا القديم :

كناطحِ صخرة يوماً ليوهنها فلم يَضُرُها وأُوْهَى قرنه الوَعَلُ

الله.. وفرعون.. ورائد الفضاء!!



بالكسل والنفاق.. ورُفعت درجات الذين يؤدونها في المسجد مع الجماعة الى بضع وعشرين ضعفاً، وطلب من المصلين أن يقفوا صفوفاً متراصة متوازية وألايتركوا ثغرة ولا خللا.. وقيل لهم اكثر من مرة، ان الله لا ينظر الى الصف الأعوج، ونُدّد بالدين يسبقون الامام في الركوع والسجود، واستخدمت معهم، وهم حديثو عهد بالبداوة، اشد الصور «التجسيمية» الساخرة لردعهم عن ممارسة هذه الخطيئة في نظام الصلاة..وقيل للذين يرفعون رؤوسهم الى السماء،على هواهم، في الصلاة..وقيل للذين يرفعون رؤوسهم الى السماء،على هواهم، في اعقاب كل ركوع، بأنهم يعرضون ابصارهم – بذلك – لكي يخطفها الله!!

ترى لو لم يجابه العربي، حديث العهد بالبداوة والفوضى، بهذا الضبط وتلك الصرامة المتناهية في تحقيق النظام، أكان يكن أن تنفّذ تلك التجربة التعبدية الباهرة بذلك القدر من الهندسية والتناظر والاتساق، وسط صحراء لم تكن تعرف حتى ذلك الحين – شيئاً من بداهات النظام؟!

ومن عجب أن يظل جانب التناظر والاتساق هذا في صلاة المسلمين يحمل طابع الجدّة والجمالية على مرّ العصور، ويحمل الى الاسلام ، حينا بعد حين، اناساً من اكثر مثقفي العالم نضجا وادراكاً ينتمون الى أشدّ الامم التزاما بالنظام وكراهية للفوضى..

وأمامنا حشد كبير من شهادات هؤلاء الذين انتموالديننا في اعقاب رؤياهم المباشرة لهذا الأداء التعبدي الذي يصل حد «الموسيقية» في تناسقه الرياضي، ويحمل من وراء هذا «الشكل» المتناظر الجميل قلوبا وارواحا يعمرها الحب، والايان، واليقين!!

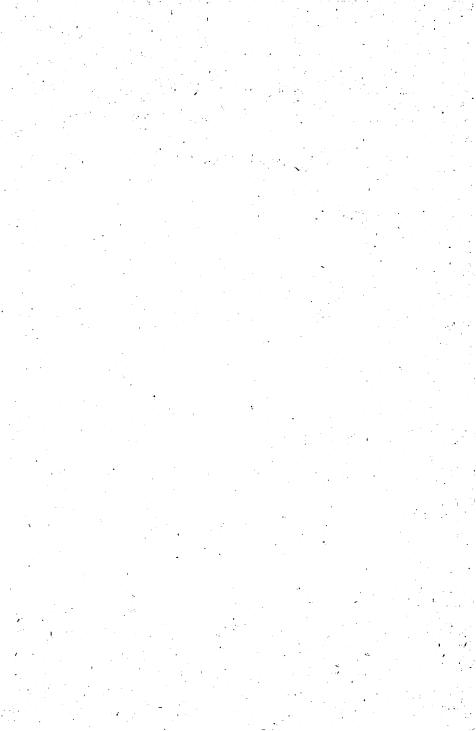
اذا لم يكن الإلحاد غباءً فماذا يكون؟ .



إلى عهد قريب كان المبدأ السائد في علم الطبيعة ان المادة لا تفنى ولا تستحدث، فاذا بنا نسمع بعد ذلك بمبدأ آخر، نقيض تماماً لسالفه، يقول ان المادة تفنى وتستحدث. وكان الناس الى عهد قريب، يعتقدون ان المادة، وقد كشفوا عن تحليلها الجزيئي النهائي، هي الاساس الأخير في بنية الطبيعة والكون، فإذا بهم يكتشفون ان الطاقة والحركة في بنية الذرات ومداراتها الالكترونية، لا المادة، هي هذا الاساس..

وكان العلماء إلى عهد ليس ببعيد، يرون في جاذبية نيوتن تفسيراً لكثير من غوامض الكون ونظم مجموعتنا الشمسية، فإذا بأينشتاين يهدم ب«نسبيته» كثيراً من أعرافهم ومسلماتهم..

وربما سيجيء اليوم الذي يثبت فيه أن هذه «النسبية» لا تعدو مساحة ما في هذا الكون الشاسع اللانهائي، وأن



تلك الحفرة المظلمة التي تعلو عليها وتسمو عوالم الأبقار والجمال والأغنام؟

لقد قالها العلاء الكبار مراراً وتكراراً .. أن خطواتهم في حقول العلوم المختلفة قادتهم دوما الى الاعتقاد الذكي المبصر بالخلاق المبدع الذي أعطى كل شيء خلقه والذي بدونه لا يكن أن تقوم للكون العظيم، ولا لتكييف الحياة على الارض، قائمة لحظة واحدة من زمان فكيف بملايين السنين؟.. ثم الا يكون غبيًا من يرفض الايان بأن وراء هذه الفرصة القصيرة في حياتنا الدنيا وجودا أبدياً لا آخر له، ويسعى باختياره البليد الى دائرة التشاؤم والفناء المقفلة، حيث يعيش الانسان ويموت كما تعيش الحشرات وتموت دون اي اعتبار لتميّز الانسان وتفرده على سائر الخلوقات؟

ألا إنه الغباء بعينه يرين بضبابه الكثيف على البصائر والأفئدة والعقول، فيهبط بأصحابه إلى دركات الضلال.. وصدق الله العظيم عندما يقول في أكثر من موضع: ﴿اولئك كالأنعام، بل هم أضل !!﴾.

إلى عهد قريب كان المبدأ السائد في علم الطبيعة ان المادة لا تفنى ولا تستحدث، فاذا بنا نسمع بعد ذلك بمبدأ آخر، نقيض تماماً لسالفه، يقول ان المادة تفنى وتستحدث. وكان الناس الى عهد قريب، يعتقدون ان المادة، وقد كشفوا عن تحليلها الجزيئي النهائي، هي الاساس الأخير في بنية الطبيعة والكون، فإذا بهم يكتشفون ان الطاقة والحركة في بنية الذرات ومداراتها الالكترونية، لا المادة، هي هذا الاساس..

وكان العلماء إلى عهد ليس ببعيد، يرون في جاذبية نيوتن تفسيراً لكثير من غوامض الكون ونظم مجموعتنا الشمسية، فإذا بأينشتاين يهدم ب«نسبيته» كثيراً من أعرافهم ومسلماتهم..

وربما سيجيء اليوم الذي يثبت فيه أن هذه «النسبية» لا تعدو مساحة ما في هذا الكون الشاسع اللانهائي، وأن

الله.. وفرعون.. ورائد الفضاء!!

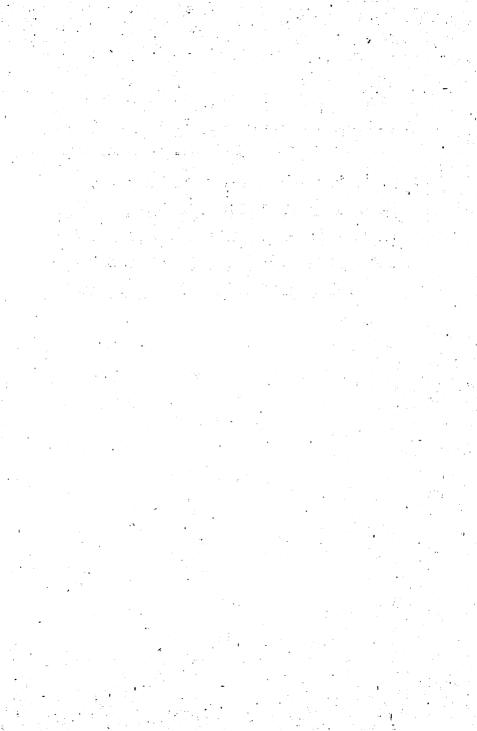
فعلاً قديراً على التغيير.. ان الرفض الصامت هو الآخر (عمل) من اجل التغيير، تهيئة وتمهيد للكلمة الغاضبة واليد الضاربة.. ومن ثم فان موقف الاديب هو تحميل «الكلمة »كل ما تستطيع حمله في عملية التغيير.. وهو تغيير دايناميكي ابدي ما دام هنالك ظالم ومظلوم.. وان رسولنا (عيلية) قد طرح هذا البعد الدايناميكي لكي يغطي كل زمان ومكان، دوغا توقف...

والمعروف والمنكر يصطرعان، ويتبادلان المواقف كاصطراع الليل والنهار وتبادل الشمس والقمر.. والجهاد، ماض، بتعبير الرسول، الى يوم القيامة..

وهنا نلتقي مع كل حركة (التزام) تسعى الى تحميل الكلمة مسؤوليتها في تاريخ الانسان وحركته صوب الحق والعدل. ولكننا نفترق مع هذه الحركات (كالماركسية والوجودية...) في تحديد طبيعة الظلم ومساحته.. فالشيوعية ترى مساحته مقصورة على حاجة الانسان الى الطعام .. على طاغية يتخم وفقير يموت جوعاً.. والوجودية تراها كذلك، بدافع من مركب نقصها ازاء الماركسية ومن الانتاء اليهودي الواحد لمؤسسي الحركتين، وتضيف اليها مسألة « الحرية » المتبادلة بالالتزام.. والكلمة تجيء – اذن – لتعزيز حرية الانسان وهو يناضل

عجيب أمر مفرداتنا اللغوية.. ان كل واحدة منها أشبه بالكائن الحي الذي يتنفس ويحيا ويستيقظ وينام ويتفاعل مع البيئة فينفعل بها ويتأثر بمعطياتها ويكتسب الملامح التي تعينه على التواصل معها والانسجام مع ظروفها الآنية، وان يكون بالتالي (ابن بيئته).

ولا يتصور أحد ان هذه السمة تحمل في ثناياها صفة (الايجاب) فحسب بل هي تحتوي في الوقت نفسه كل السلبيات التي ترافق اية (حياة) متجركة متطورة غير جامدة ولا ساكنة. وأبرز تلك السلبيات تعرضها – بمرور الزمن للشيخوخة والذبول، وفقدان البريق الزاهي الذي كانت حروفها تشعه ايام الشباب.. هذا فضلاً عن غياب روحها الحقيقية ونقائها الذاتي وتواريها خلف حجب صفيقة اقامتها مسيرة الزمن بحيث يغدو من الصعوبة بمكان التعامل العفوي مع المضمون الاصيل والدلالة الحقيقية للكلمة كها كانت الحال مع اليام صباها وشبابها فيتوسل اليها بإعال الذهن والرجوع آلى



يعتمد أدوات «اللغة» المناسبة لإيصال أكبر قدر من الأفكار إلى عقول المثقفين ونفوسهم، إذ يجب أن يكون هناك ترابط عضوي وتسلسل منطقي بين الكلمات والجمل والفقرات والفصول، بحيث أن أي تغيير في وضع واحدة منها، تقدياً أو تأخيراً، يقود الى تفكك في البحث واضطراب في صياغته. رغم أن أبحاثاً كثيرة تطرح، ولشدة تفككها وعدم تماسكها، فإن بإمكاننا أن نجري تغييراً في مواقع كلماتها وجملها وفقراتها وفصولها دون أن يلحق بالبحث أي أذى، تماماً كما يبني إنسان ما بيتاً كثير الحجرات والردهات، وهو لا يعرف من علم الهندسة المعارية شيئاً، ومن ثم فإن التفكك والفوضي وانعدام الجناظر واختلال التناسب سيمكن أي إنسان من أن يجري تغييراً في التصميم المرتجل دون أن يلحق بالبيت أي أذى..

إن الكلمة الزائدة التي لا تخدم معنى في الجملة بجب أن تستبعد، والجملة العابرة التي لا تأخذ مكاناً مناسباً في الفقرة يجب أن تلغى، والفقرة المرتجلة التي لا تؤدي دورها البنائي إزاء رفيقاتها يجب أن تهمل، ومجموع الفقرات التي لا تحمل في طياتها فكرة جديدة أو عنصراً أساسياً في البحث يجب ألا تأخذ أية مساحة على الورق..

ليس هذا فحسب بل إن البحث بجموعه، إن لم يضف

بالكلمات، وطقطقة بجبات السبح، وإياءات ظاهرة بالأيدي والأعين، وتشبث باللحى الطويلة والنظرات المسترخية الكسولة، والحركات البطيئة المتعبة، والقعود الطويل في المساجد والزوايا، والاندماج في المارسات الظاهرية، والانقطاع عن المعاني الحقيقية الكبرى في أعماق الكون... ودروشة وزهداً وفراراً من الحياة... ما الذي آل بالكلمة إلى هذا المصير؟

إننا يجب ألا نلقي التبعة على الكلمة وحدها، التي قطعت اللف الاميال ومئات السنين حتى وصلت إلينا متعبة مكدودة.. ولكننا نحن أيضاً نسهم بنصيب فيها لأننا – وقد شخنا وتعبنا – آل تعاملنا مع الكلمات إلى التشبث السهل بظواهرها وأرديتها الخارجية، دوغا سعي جاد حريص على الكشف عن جوهرها ومعانقة روحها الأصيلة... ومن ثم فإن هذه العلاقة التأثيرية المتبادلة بين الإنسان والكلمة وبين الكلمة والبيئة هي التي تحدد موقع الكلمة قرباً من جوهرها أو بعداً عنه..

وهذا هو الذي يجيبنا عن سؤال خطير يطرح في مجال كهذا : هل إن الموت، وقد شاخت الكلمات محتم ان يحلّ. بساحتها؟ أو على الاقل هل اذا ما وصلت كلمة ما مرحلة الشيخوخة قضي عليها أن تتحجر وفق شكل ما، وتبقى

هكذا مئات السنين؟

والجواب: كلا!! فبأيدينا نحن أن نعيد إلحياة إلى الكلمة، وأن نفجر فيها مرة أخرى روحها الأولى، بمجرد أن نكون أكثر جدية وإيجابية في تعاملنا مع الكلمات، أو بمجرد أن نتخلى عن مواقع الكسل والخمول في هذا التعامل، وأن نحمل في عقولنا ووجداننا وأفئدتنا فكراً عميقاً، وثقافة واسعة، وحساً (فنياً) تنأى بنا عن العلاقات الآلية مع لغتنا.

وانذاك سوف تكشف كلماتنا - ثانية - عن جوهرها الاصيل المشع الذي ران عليه غبار الزمن والتكرار، والعلائق الآلية الرتيبة بين الانسان والكلمة..

فلنحاول ان نجرب ذلك، ولنبدأ بكلهات الله المعجزة التي ما لها من نفاد.. ولنتذكر كيف كان العرب عند ظهور الاسلام اكثر تواصلاً مع كلهات القرآن واندماجاً في آياته وإدراكاً لمضامينه، وإحساساً غامراً بمواطن اعجازه اللغوي..كانت علاقاتهم العفوية بلغتهم تدفعهم - دونما تكلف - الى اعهاق معانيها ودلالاتها وهذا هو الذي قاد حشود الجاهليين الى ان تفتح قلوبها، وترمي عنها الحجاب، وتحث خطاها الى دين جديد هذا قرآنه وتلك آياته.. أو على الأقل دفعها - رغم تشبثها بمواقع الجاهلية - إلى أن تعرب

عن دهشتها وحيرتها وإعجابها بسحر الكلمات القرآنية وجمال آياته المعجز.. تماما كما قاد حشدا آخر من العرب – من ناحية اخرى – الى أن يدركوا بوضوح، المغزى العميق البعيد للقيم الانقلابية التي طرحها الاسلام فازدادوا جمودا ومقاومة وشراسة وإنكارا!!

والعبث واللامعقول..

إننا نعيش فعلاً عصر الغرابة والعبث واللامعقول..

فبينا يسيطر الإنسان المعاصر على الطبيعة هذه السيطرة الفذّة، المعجزة.. وبينا يتمكن من عالمه المادي هذا التمكن العظيم.. نجده في عالم الروح.. في ميدان القيم والعلاقات.. في ساحات الفكر والفن.. في أمداء الرؤى والتصورات والاحلام.. في طرائق المعيشة والتصرف والسلوك.. يفقد اكثر فأكثر السيطرة على نفسه، ويضيع...

من هذا التناقض الذي حدثنا عنه «ألكسيس كاريل» في كتابه القيم «الإنسان ذلك المجهول»، فأطال الحديث... من هذه العلاقة العكسية بين تمكن الإنسان من العالم وفقدانه نفسه... من هذا التضاد بين القدرة على تسخير الطبيعة وبين عدم القدرة على تحقيق الحياة السعيدة، العادلة، الجميلة... ينشأ أعمق حزن عرفه تاريخ الإنسان..

ولكنه حزن لا يريد أصحابه أن يعترفوا به، وهم من أجل أن يغطوا عليه يضطرون الى الصراخ.. الى اتخاذ مواقف غاية في الغرابة والشذوذ واللامعقولية.. إلى ان يمثلوا على أنفسهم وعلى الآخرين.. أن يلبسوا الاقنعة ويختاروا بأنفسهم أن يتحولوا الى مهرجين وبهلوانات، تتجمع الى



إن مثقفينا، بالاحرى متعلمينا وأنصاف مثقفينا، يقفون ازاء كثير من القضايا والقيم الاسلامية، موقفا رخيصاً فجاً مستعجلا، غير علمي ولا متأن ولا مسؤول، الأمر الذي يجعلهم يصدرون أحكاماً سريعة، مشوهة، مبتورة، تجيء نتيجة منطقية لمواقفهم تلك، كما تكون سببا في الوقت نفسه لهجومهم على الاسلام وتنكرهم له ورفضهم إياه...

وتظل هذه الحلقة الفرغة، والمحزنة، تتضخم وتتضخم: المواقف الخاطئة تقود الى مزيد من الرفض والتنكر، والرفض والتنكر يقودان الى مزيد من المواقف الحاطئة.. حتى صرنا نجد «تقليدا» عصريا يكاد معظم المتعلمين عارسونه، تماماً كما عارسون الشارلستون والميني جيب والذقون الطويلة والكعوب العالية والشعور التي لا تعرف أين يقف صاحبها في ميدان التصنيف بين الذكور والإناث..!!

قال أحدهم ، وهو طالب جامعي، ان الاسلام يرفض

الشِّعر، والرسول يحتقره، والقرآن يشن حملة تحريم قاسية ضدّه..

وقال اخر - وقد عاد أخيراً من إنكلترة يحمل شهادة الدكتوراه في الآثار الاسلامية - إن القرآن قد مارس خطيئة كبرى بصدد اليهود، إذ أنه بتركيزه البالغ عليهم، أمة وتاريخا، أنبياء وأفراد عاديين دفعهم إلى الضوء، وأعطاهم قيمة أكبر من قيمتهم الحقيقية، كما أنه بجد أنبياءهم ورجالاتهم بما لا يستحقونه أساساً كشعب مشرد ذليل... قال - الدكتور نفسه - إن القرآن يحدثنا كثيراً عن وقائع تاريخية قديمة، ويقص علينا قصص أمم وأنبياء شتى، لم تؤيدها الحفريات الحديثة، ولا الدراسات الآثارية للتاريخ القديم، كما أن دراستنا لآداب الشعوب الأولى تلك لا تلتقي - أحياناً - مع ما يطرحه القرآن..

وقال ثالث: إن الاسلام جاء ثورة على الوثنية ودعا الى استئصال الأوثان والاصنام، ولكنه وقع في تناقض واضح عندما أمر المسلمين بالحج الى الكعبة والطواف حولها وتقبيل الحجر الاسود، إسوة بما فعل الرسول!!

ولقد حدّثت هؤلاء وغيرهم عن قضايا (الشعر) و (الامم القديمة) و (الحجرالاسود) وغيرها من المواضيع والمسائل التي

يقفون منها موقفاً رخيصاً، فجّاً، مستعجلاً غير علمي ولا متأنِ ولا مسؤول، فانصرفوا مقتنعين..

إن الاسلام لم يرفض الشعر والرسول لم يحتقره، ولا شنّ القرآن حملة تحريم قاسية صده.. كل ما هنالك أنها دعوة (للالتزام) موجهة للشعراء، وتحويل العطاء الشعري من ندب للذات، وهيان في الضباب، الى كلمات تؤمن وتقاتل وتنتصر للمظلومين على الظالمين، وان (سارتر) نفسه أكد هذه الحقيقة اذ قال «اذا لم يكن الاديب حليفاً للمظلومين على الظالمين، فأن يكون إلا شريكاً للظالمين ».. ولكن هدذا لم يعن فلن يكون إلا شريكاً للظالم وقرآنه ورسوله - رفض لشعر الحب أبداً - في معايير الاسلام وقرآنه ورسوله - رفض لشعر الحب والجمال والعواطف الشفيفة، وإلا لما منح الرسول عليه بردته للشاعر كعب بن زهير إعجاباً بقصيدته التي بدأها بالتوجع على فراق حبيبته سعاد!!

والحفريات والدراسات الآثارية ونقد الأدب القديم لاتحتمل اليقين المطلق من جهة، وهي حتى لو احتملته فانها لا تغطي من الواقعة التاريخية سوى نسب ضئيلة لا تتجاوز، على أحسن الظن، العشرة بالمائة من مساحة تلك الواقعة بسبب أفاعيل الزمن بالبقايا الآثارية، دماراً وتغييبا، من جهة أخرى..

وحتى يحين الوقت الذي تكتشف فيه كل الآثار القديمة،

وتشخص وتصان، بحيث تبلغ مبلغاً تكاد فيه أن تغطي الواقعة التاريخية، وهذا مستحيل كما هو معروف في بداهات علم الآثار، فإن لك أن تصدر حكمك على آيات القرآن وقصصه وتقول أنها لا تنسجم وعلم الآثار.. فهي - من ثم ليست علمية!!

وأنت نفسك تقول بأن اليهود المعاصرين كانوا يستأجرون بعض علماء الآثار لقاء ثمن مغر، كي يجوسوا منقبين في صحاري الاردن واليمن والحجاز، ويزيفوا بعض الحقائق التاريخية لصالح اليهود، باعلانهم عن اكتشاف حجر أو أثر يؤكد كذا وينفي كذا...فما اسهل اذن ان يتخذ هذا العلم (الناقص) (الجزئي) سلاحا ذا حدين يتوسل به للوصول الى جوانب من الحقيقة التاريخية حينا، ولا أقول الحقيقة كلها لان هذا مستحيل، ويستخدم حينا آخر لتزييف الحقائق وتزويرها.

وزيارة الكعبة والطواف حولها وتقبيل الحجر الأسود ليست من الوثنية في شيء، بل هي تقييم «معنوي» لمعلمين معالم أول بيت رفعت قواعده في المنطقة لعبادة الله وحده، تماماً كما تقيّم نصب الجنود المجهولين في عواصم العالم بباقات الزهور، وبمواكب حزينة مهيبة، يسير فيها رؤساء العالم وزعاؤهم...

جزئياته وتفاصيله جميعا.

أما كان تاريخنا العقائدي في غنى عن (تظاهرات) المعتزلة الفكرية وتشبثهم المبالغ فيه بالعقل واضطهادهم المذهبي لكل معارض، وهم يقرأون في ما يزيد عن سبعمائة وخمسين موضعاً من القرآن دعوة لإعال الفكر البشري في كل صغيرة وكبيرة، وفي تحريك العقل، تلك الهبة الإلهية المعجزة لحل المسائل الأساسية في حياة الانسان وفهم الأبعاد الشاملة للمعطيات القرآنية.. لكنهم يقرأون في الوقت نفسه، ان العقل وحده ليس بقادر على انتشال الانسان من معضلاته الكونية وانه لو كان قادرا فعلاً على تحقيق هذه المهمة، لم تكن هناك حاجة اساساً لمجيء الأديان وإنزال القرآن.. ويلتقون في عشرات المواضع القرآنية بحقيقة أن وراء هذا العالم، الذي يمكن للعقل أن يتعامل معه، عالم غيبي شامل بعيد، خفي محيط، يندّ عن قدرات الانسان العقلية والحسية، ولكنه حق واقع كما أن عالم الطبيعة الملموس حق واقع، وان الايمان به والتسليم بوجوده يجيء بمثابة حجر الزاوية لكل ايمان حقيقي كامل؟

فاذا كان كتاب الله يقدّم لنا المسألة بطرفيها، فلماذانجنح صوب هذا الاتجاه أو ذاك، ونغادر الموقع الوسطيّ الشامل، المتوازن، الذي منحنا اياه القرآن ان كنا محبين فعلاً لله، لا

مستلزمات هذا التحول أن يرجع (المثقف) بأمانة العالم وحرص المسؤول الى كتاب الله وسنة نبيه لكي يلم بالابعاد الحقيقية لكل مسألة من مسائل الاسلام وقيمة من قيمه.

ومن قبل ذلك كان بعض المستشرقين قد مارسوا بحق الاسلام خيانة للعلم والمسؤولية كهذه ووصلوا الى نتائج لیست بارفع مستوی من هذه التی تحدثنا عنها قبل قليل.. وإلا كيف سمح أحد كبار المستشرقين لنفسه أن يقول «أما القانون الجزائي في الاسلام فقد ظل على مستوى يقرب من السذاجة وهو لا يمثل إلا تقدما ضئيلا بالنسبة الى مفاهيم القانون في الوثنية القدية، فالقاتل عرضة للموت من طريق الثأر، والقتل من غير تعمد يعوض عنه بالدية تدفع الى اهل القتيل..... وقد يقتص لضروب الاذى الجساني التي يلحقها شخص بأخر وفقا لمبادىء المقابلة بالمثل (عين بعين وسن بسن). ولكن الجرم يستطيع ايضاً ان يفتدي نفسه بالتعويض على غريمه بالمال. وعقاب السارق قَطْعُ يده اليمني، فاذا عاد الى السرقة خضع لتشويه جسدي آخر. وعقوبة الزنا مئة جلدة بالسوط، بيد أنه اذا أغوى رجل غير مسلم امرأة

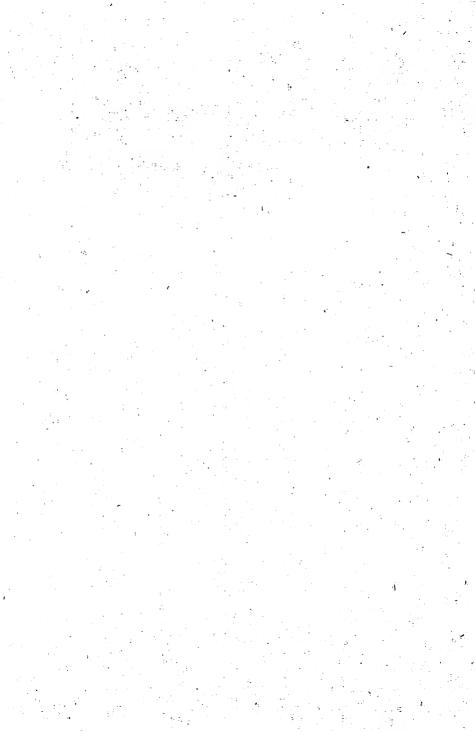
والعبث واللامعقول..

إننا نعيش فعلاً عصر الغرابة والعبث واللامعقول..

فبينا يسيطر الإنسان المعاصر على الطبيعة هذه السيطرة الفذّة، المعجزة.. وبينا يتمكن من عالمه المادي هذا التمكن العظيم.. نجده في عالم الروح.. في ميدان القيم والعلاقات.. في ساحات الفكر والفن.. في أمداء الرؤى والتصورات والاحلام.. في طرائق المعيشة والتصرف والسلوك.. يفقد اكثر السيطرة على نفسه، ويضيع...

من هذا التناقض الذي حدثنا عنه «ألكسيس كاريل» في كتابه القيم «الإنسان ذلك المجهول»، فأطال الحديث... من هذه العلاقة العكسية بين تمكن الإنسان من العالم وفقدانه نفسه... من هذا التضاد بين القدرة على تسخير الطبيعة وبين عدم القدرة على تحقيق الحياة السعيدة، العادلة، الجميلة... ينشأ أعمق حزن عرفه تاريخ الإنسان..

ولكنه حزن لا يريد أصحابه أن يعترفوا به، وهم من أجل أن يغطوا عليه يضطرون الى الصراخ.. الى اتخاذ مواقف غاية في الغرابة والشذوذ واللامعقولية.. إلى ان يمثلوا على أنفسهم وعلى الآخرين.. أن يلبسوا الاقنعة ويختاروا بأنفسهم أن يتحولوا الى مهرجين وبهلوانات، تتجمع الى



جزئياته وتفاصيله جميعا.

أما كان تاريخنا العقائدي في غنى عن (تظاهرات) المعتزلة الفكرية وتشبثهم المبالغ فيه بالعقل واضطهادهم المذهبي لكل معارض، وهم يقرأون في ما يزيد عن سبعمائة وخمسين موضعاً من القرآن دعوة لإعال الفكر البشري في كل صغيرة وكبيرة، وفي تحريك العقل، تلك الهبة الإلهية المعجزة لحل المسائل الأساسية في حياة الانسان وفهم الأبعاد الشاملة للمعطيات القرآنية.. لكنهم يقرأون في الوقت نفسه، ان العقل وحده ليس بقادر على انتشال الانسان من معضلاته الكونية وانه لو كان قادرا فعلاً على تحقيق هذه المهمة، لم تكن هناك حاجة اساساً لمجيء الأديان وإنزال القرآن.. ويلتقون في عشرات المواضع القرآنية بحقيقة أن وراء هذا العالم، الذي يمكن للعقل أن يتعامل معه، عالم غيبي شامل بعيد، خفي محيط، يندّ عن قدرات الانسان العقلية والحسية، ولكنه حق واقع كما أن عالم الطبيعة الملموس حق واقع، وان الايمان به والتسليم بوجوده يجيء بمثابة حجر الزاوية لكل ايمان حقيقي كامل؟

فاذا كان كتاب الله يقدّم لنا المسألة بطرفيها، فلماذانجنح صوب هذا الاتجاه أو ذاك، ونغادر الموقع الوسطيّ الشامل، المتوازن، الذي منحنا اياه القرآن ان كنا محبين فعلاً لله، لا



قصة عراقية.. شعر عراقي.. اغنية عراقية.. فولكلور عراقي.. مسرح عراقي.. قصة سورية.. شعر سوري.. اغنية سورية.. فولكلور سوري.. قصة تونسية.. شعر تونسي.. وهكذا نبحر شعر تونسي.. اغنية تونسية.. فولكلور تونسي.. وهكذا نبحر ضد أنفسنا واهدافنا ووجودنا، باختيارنا هذه المرة،للوصول الى مرافىء الاقليمية التي عفّى عليها الزمان، والتي كافحنا ضدها ما يزيد على نصف القرن..

يومذاك كان الاستعبار هو الذي يسوقنا، ويقطعنا الى أمم وكيانات، واقاليم واقوام، وعشائر: البربرية، الفينيقية، الزنجية، الغسانية، الفرعونية، الآشورية.. كان يسوقنا ويقطعنا بكل وسيلة، وبأي اسلوب يمكن ان يعجل بتحقيق اهدافه.. ولم يكن ثمة سلاح يوما، كما انه لن يكون، اكثر مُضيّاً وتأثيراً من سلاح « الغزو الثقافي » و « الحرب الفكرية »..

ومن خلال هذا الباب الواسع هبّت علينا أعاصير الغرب الاستعارية لتدخّن على قيمنا المشتركة، وتسفو التراب على

عقيدتنا ولغتنا، وتكفن بالغبار اذواقنا وعاداتنا وتقاليدنا المشتركة، وكل ما يجمعنا في وحدة ثقافية واحدة.. ثم لتعمل، من خلال الدخان والتراب والغبار، بشرطها تقطيعا وتمزيقاً..

وعبر الثغرات التي فتحوها في جسدنا، مرّت افكارهم وجيوشهم على السواء..

واليوم - نعود ثانية - لكي غارس بارادتنا هذه المرة، عملية التدخين والتتريب والتغبير على كل ما هو مشترك بيننا كأمة عربية مسلمة متميزة بين الامم، ولكي تسلم المشارط الى الايدي التي تعرف كيف تقطع وتمزّق كها تعرف كيف تعمق الشقوق التي حفرت بين المصري والسوداني، والغربي والمورية والليبي والتونسي، والعراقي، والسوري، والسعودي واليمني، وتعود النزعات الاقليمية اقوى واكثر تنظياً من ذي قبل، لكي تدمر علينا وحدتنا كأمة، وتقتلع من الجذور كل ما يشدنا الى بعضنا وينحنا الأمل بأننا سنعود الى الوحدة الضائعة، في يوم قريب او بعمد.

إن مهرجانات أسبوعية حاشدة تقام للشعر الشعبي في سوح الجامعة نفسها، وفي أروقة الكليات التي كان من المفروض ان تمارس مهمة حماية اللغة لا تدميرها.. ومجلات

شهرية تصدر من أجل حماية المقومات الحلية في بلادنا من التبعثر والنسيان.. هذا بينا تدق أجهزة الاعلام كل يوم وكل ساعة على الوتر نفسه، وهو أن هناك فنا عراقيا او سوريا، وقصة عراقية او مصرية، ومسرحاً عراقياً او كويتياً، وشعراً عراقياً او سودانياً.. واين الإطار العربي الشامل، ما دامت هذه المعطيات تكتب جميعاً بلغة القرآن، وما دمنا نسعى الى تعميق وجودنا كأمة متوحدة، متميزة في عالم الثقافة والعقيدة، والفكر، واللغة، أيعني هذا انه لن يكون هنا، في يوم ما، شعر أو فن أو قصة أو مسرح عربي؟

إننا نبحر ضد انفسنا ووجودنا واهدافنا، لكنه ليس من الصعب ان نبحث عن الاسباب. انها ايدي (الهدامين) الجدد الماهرة، وعيونهم المفتحة جيداً.. يتسلّقون اجهزة الاعلام من كافة جوانبها.. ويبثون عيونهم في كل إتجاه وما أن تواتيهم الفرصة، اية فرصة، حتى يعضّوا عليها بالنواجذ، ويعتصروها حتى النهاية تأكيداً للشقاق الفكري بين امة العرب وتعميقاً للشقوق في عقيدتها وتراثها ولغتها، وتفتيتاً لكل ما من شأنه ان يجمعها يوماً على هدف مشترك في عالم الفكر والشعور..

فعن طريق هذا التفتيت والتقطيع يجد الهدامون الجدد الدربعريضاً لزحفهم المدّمر الذي يعرف كيف يصل

الى اهدافه.. واذا كانت الهجمة الثقافية الغربية قد قطعت الطريق الى منتصفه فإن «هؤلاء» جاءوا لكي يواصلوا «المشوار»..

ويومها لن ينفع أمتنا فن محلي، ولا قصيدة شعبية، ولا تحفة فولكلورية مليئة بالنقوش والزخارف والالوان!!

لكيلا تأسوا على ما فاتكم...



في القرآن الكريم نداء عميق، لو تمعنًا فيه قليلا لأدركنا أنه أروع نداء يمكن أن يوجه الى الانسان من أجل أن يرتفع فوق مستويات الخوف والحزن : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الله في كتاب من قبل أن نبرأها، إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ﴾!!

إن جل آلامنا ومخاوفنا وأحزاننا ومآسينا تنفجر من إحساس ثقيل مرهق بأن فرصة ما قد فاتتنا، وبأن فرحة ما ستفوتنا عما قريب.. فيسحقنا الندم، ويشلنا الحزن عن الانطلاق الدائم صوب الأمام، من أجل أن نحظى بمزيد من الفرص، ونتحقق بمزيد من الانتصارات..

إن الأسى على فوات شيء أو فرصة ما، غلّ ثقيل يأسر الانسان ويرتد بوعيه الى الماضي لكي يسفح عند نصبه الدموع ويستل الحسرات دون ان يتاح له أن يخطو خطوة واحدة من أرضية الحاضر صوب آفاق المستقبل.. وإن الفرح

الغامر بمكسب وقتي أو نجاح عابر سيعقبه – ان آجلا او عاجلاً – حزن عميق على انعدام الفرح وزوال النجاح.. ومن ثم سيظل الانسان في نقطة التمزق بين الأسى والحزن الى أن تنصرم سنوات عمره، ولا يشعر بمأساة حياته الشقية الا عندما ينظر وهو في آخر الدرب، الى ان كل احزانه ومخاوفه عبر حياته جميعا لم تكن سوى عبث لأنه سوف لن يأخذ معه الى الحفرة سوى الفرح الكبير أو الحزن الشامل الذي لا علاقة له من قريب أو بعيد بهذه الجزئيات الصغيرة التافهة التي تعترض حياة الانسان فإذا ما افلتت من يديه ملأته اسى وإذا ما تراكمت بين يديه اترعته فرحا لا يلبث ان يغور بعد إذ تنكشف له هذه الجزئيات عن فقاعات لا دوام لها الا بقدر ما تخدع الانسان وتلهو به...

من أجل ذلك ينادينا القرآن ألا نأسى على ما فاتنا ولا نفرح بما آتانا كي نتجرد عن الجزئيات الثقيلة ونرتفع عن مستوى الاهتامات الزائلة.. ولا نرنو الا الى الفرح الكبير الابدي العميق الذي لا يتحدد بماض أو حاضر أو مستقبل، ولا يتعرض للزوال.... ومن ثم ننطلق بخفة وحيوية ، متخلصين من الاثقال والهموم والاحزان، لنعبر عن وجودنا المتوثب الطموح.. ونصنع مصائرنا التي تناغينا وتنادينا من بعيد..

إن كثيراً من الكتاب والفنانين المعاصرين صوروا لنا شقاء الانسان الذي تشده اثقال ماضيه وتطارده لعناته.. وآخرون كتبوا لنا عن تشاؤمهم العميق ازاء إمكانية تحقق الفرح الانساني، وتجاوز مستويات الحزن والخوف.. لكن كلمات من القرآن تبين لنا بوضوح وتركيز كل ما يريده هؤلاء وتزيد عليهم بأن تمنحنا القدرة على التخلص من اثقال الماضي وتجاوز تجارب الفرح الزائل التي تعقب حسرات ودموعا والنفاذ الى المستقبل متخففين متجردين، يغمرنا الفرح الخقيقي الكلي العميق واليقين بأن هذه الجزئيات مكتوبة علينا لكي تعلمنا القدرة على التجاوز والانطلاق.. ويوحدنا علينا لكي تعلمنا القدرة على التجاوز والانطلاق.. ويوحدنا نداء الله سبحانه الذي يعرف كيف ينتشلنا من ليالي حسراتنا واحزاننا ويقترب بنا من الفجر الوضاء الذي لا غياب لشمسه لأنها تفجر نورها وأشعتها في القلوب والأرواح.



القرآن والكلمة المقاتلة



عندما طرح القرآن الكريم «موقفه» من الشعر، ودعا إلى الالتزام بقوله ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون؟ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وانتصروا من بعد ما ظلموا... لم يكن كثير من الناس حتى عصرنا الراهن، ليدركوا الأبعاد الانسانية الإيجابية الشاملة لهذا الموقف.. فهو قد رفض الشعر الذي لا يؤمن ولا يلتزم... شعر التيه والهيان في الضباب والفناء الذاتي... الشعر الانهزامي «المغلق» على حدود «الأنا» الغامضة، المتميعة الضائعة حيناً، والطاغية، الظالمة الأثررة، المستبدة حيناً آخر..

ودعا بالمقابل إلى شعر الكلمة المؤمنة، المقاتلة، التي ترفع سلاحها الأبدي لتنقض على مواقع الظلم والقبح والاختلال، وتحقق «عالم» الخير والحب والحق والعدل والجمال والتوافق والانسجام....

الكلمة التي لا تنطلق عبثاً وترفأ وفجوراً لكي تمنح المتعة

والعبث واللامعقول..

إننا نعيش فعلاً عصر الغرابة والعبث واللامعقول..

فبينا يسيطر الإنسان المعاصر على الطبيعة هذه السيطرة الفذّة، المعجزة.. وبينا يتمكن من عالمه المادي هذا التمكن العظيم.. نجده في عالم الروح.. في ميدان القيم والعلاقات.. في ساحات الفكر والفن.. في أمداء الرؤى والتصورات والاحلام.. في طرائق المعيشة والتصرف والسلوك.. يفقد اكثر فأكثر السيطرة على نفسه، ويضيع...

من هذا التناقض الذي حدثنا عنه «ألكسيس كاريل» في كتابه القيم «الإنسان ذلك المجهول»، فأطال الحديث... من هذه العلاقة العكسية بين تمكن الإنسان من العالم وفقدانه نفسه... من هذا التضاد بين القدرة على تسخير الطبيعة وبين عدم القدرة على تحقيق الحياة السعيدة، العادلة، الجميلة... ينشأ أعمق حزن عرفه تاريخ الإنسان..

ولكنه حزن لا يريد أصحابه أن يعترفوا به، وهم من أجل أن يغطوا عليه يضطرون الى الصراخ.. الى اتخاذ مواقف غاية في الغرابة والشذوذ واللامعقولية.. إلى ان يمثلوا على أنفسهم وعلى الآخرين.. أن يلبسوا الاقنعة ويختاروا بأنفسهم أن يتحولوا الى مهرجين وبهلوانات، تتجمع الى

ونيرودا ..و ..و ...

ودامًا نجيء نحن متأخرين – وهذا أمر طبيعي ما دامت ليست لنا مواقع على خارطة الحضارة المعاصرة أو أننا نستجدي في خطوطها الخلفية على أحسن تقدير – لكي نفتح أعيننا على دعوات منطقية كهذه.... لكننا ما نلبث أن بقع في مأساة التهويل والتضخيم والمبالغة – وهذا أمر طبيعي أيضاً إذ لا يعدو أن يكون «تعويضاً» عن تأخرنا وخوائنا الحضاري ونندفع مع الأفكار القادمة إلى آخر نقطة.. فنلغي – في مجال كهذا – كل شعر يغني لعواطف نقطة.. فنلغي – في مجال كهذا – كل شعر يغني لعواطف الانسان وأشواقه ويمجد الروح البشري وتحليقه في الآفاق اللانهائية، ويحكم بالإعدام على كل شاعر أو فنان تجاوز «القضية» لحظات لكي يعود إلى نفسه يستجيش فيها جداول الحب واليقين..

وكما عرض القرآن - بإعجازه وتركيزه العميق - الجانب الأول من المسألة فإن الرسول (عليه السلام) وأصحابه الكرام قد بينوا لنا بمواقفهم جانبها الآخر... وإلا فكيف نفسر «موقف» نبينا وهو ينزع بردته وينحها «الشاعر» الذي ألقى بين يديه قصيدة بدأها بكلهات الحب والأسى على ضياع الحبيب؟

and somewhat he have not been been as the tale organization of the present the sign rang kapadi na Kagara na taong paling Barata Sa e a lake geringstalle bilder e jid k the first of the first property of the Jan Jan Marine Branch and Later State of the Hory Programme and the state of the 建筑 医水质 建铁矿 电流流振荡 医电影机 the second of the first of the second of gar in a legal to the factor of the arms of the second والمتعلقة والمراجعة والمتعارض والمتعارض والمتعارض والمتعارض والمتعارض والمتعارض والمتعارض والمتعارض والمتعارض The regard to great and they are problem. arah dan Barra da karang berejah barrapakan da karang m That the report of the and the standard first of age. (a.) (i) (...)







وهي تجابه حالة القتال والاستشهاد... ولا تغفل عن جانب دون جانب او تؤكد على(ميدان) ما على حساب الميادين الاخرى... انها تتعامل مع المادي والمعنوي، مع الطبيعة والغيب، مع الجسد والروح، مع الفرد والجهاعة، مع الجندي والقائد، مع المهاجم والمدافع، مع ضرورات القتال، وآفاق القيم الإيمانية والمبادىء العليا، مع الأرض والسهاء، مع متطلبات المعركة القريبة ونتائجها البعيدة، مع العدو المرئي المباشر، والاعداء المتخفين... مع حالات النفس البشرية في تقلباتها بين الامن والخوف، والاستقرار والهلع، واليقين والشك، والاقدام والاحجام، والفدائية والخيانة..

وهي ستراتيجية مرنة منفتحة على المساحات الأوسع من الزمان والمكان، لا تتحدّد بجدودها الضيقة، ولا تقف عند حدود المعركة بمقدماتها المباشرة ونتائجها القريبة، لكنها تمتد لكي تغطي كل ما يمس (حالة الحرب) من قريب أو بعيد، وتشعل الاضواء الحمراء والخضراء على بعد آلاف الأميال قبل المعركة وبعدها. على الارض التي تتحرك عليها اقدام المجاهدين وايديهم، في الأغوار النفسية حيث تجيش المشاعر المعقدة المتشابكة، وتتشكل المعنويات سلباً وايجاباً.. أو في الساحة الاجتاعيه تلك الجبهة الخطيرة التي تقف عندها ستراتيجية القرآن طويلا ولا تغادرها الا بعد أن تسلط ستراتيجية القرآن طويلا ولا تغادرها الا بعد أن تسلط

الأضواء على كل الحالات، وتكشف كل الثغرات، وتقدم كل الصيغ لتكوين جبهة متوحدة، متراصّة، متاسكة، قديرة على ان تحمي ظهور المقاتلين في الخطوط الامامية وتمدهم بسائر متطلبات القتال في الوقت نفسه.

إن كل الآيات والمقاطع المتعلقة بضرورات الإعداد العسكري من مثل ﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة...﴾ ﴿وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس لكي يعلم الله من ينصره ورسله بالغيب﴾ وغيرها... ليست على أهميتها الكبيرة سوى حلقة واحدة من سلسلة طويلة من حلقات الإعداد النفسي والاجتاعي والتعبوي والمستقبلي على السواء... وليس بمقدور اية ستراتيجية حرب «وضعية» أن تغطى، عمقياً وعمودياً، كافة المساحات التي يغطيها القرآن..

ونحن في صراعنا الراهن مع الصهيونية، يتوجب علينا إذا ما أردنا حماية وجودنا ومصيرنا، أن نظل في (حالة الحرب) على شتى المستويات الاجتماعية والنفسية والتعبوية، سيا وأن الصهيونية نفسها تمد نشاطها القتالي إلى كل هذه المساحات..

ولكن اية استراتيجية يمكن ان تقود خطانا عبر هذه المعركة المتشعبة الواسعة، الممتدة الى كل مكان؟ لقد جربنا

وأمامنا حشد كبير من شهادات هؤلاء الذين انتموالديننا في اعقاب رؤياهم المباشرة لهذا الأداء التعبدي الذي يصل حد «الموسيقية» في تناسقه الرياضي، ويحمل من وراء هذا «الشكل» المتناظر الجميل قلوبا وارواحا يعمرها الحب، والايان، واليقين!!

روعة التناظر أم قوّة التنفيذ؟!

وأمامنا حشد كبير من شهادات هؤلاء الذين انتموالديننا في اعقاب رؤياهم المباشرة لهذا الأداء التعبدي الذي يصل حد «الموسيقية» في تناسقه الرياضي، ويحمل من وراء هذا «الشكل» المتناظر الجميل قلوبا وارواحا يعمرها الحب، والايان، واليقين!!





وأمامنا حشد كبير من شهادات هؤلاء الذين انتموالديننا في اعقاب رؤياهم المباشرة لهذا الأداء التعبدي الذي يصل حد «الموسيقية» في تناسقه الرياضي، ويحمل من وراء هذا «الشكل» المتناظر الجميل قلوبا وارواحا يعمرها الحب، والايان، واليقين!!

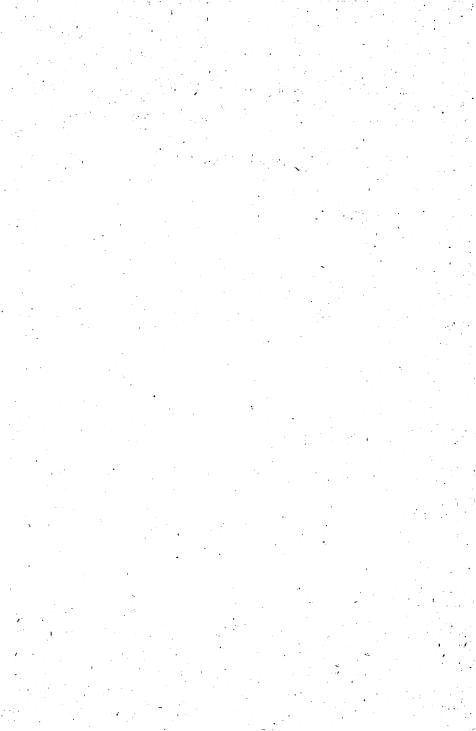
والعبث واللامعقول..

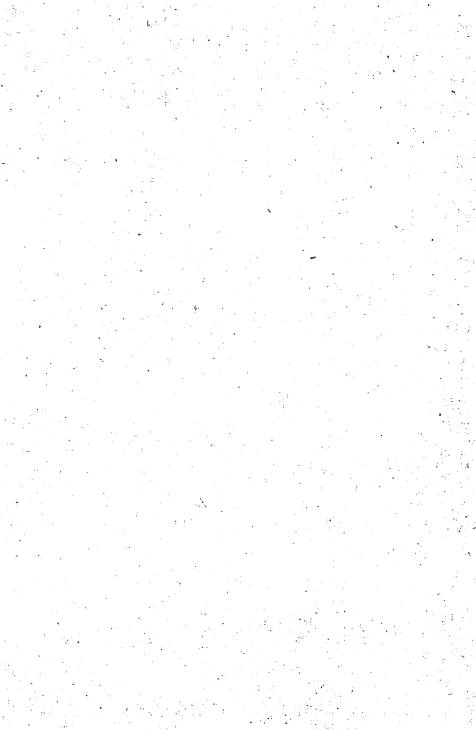
إننا نعيش فعلاً عصر الغرابة والعبث واللامعقول..

فبينا يسيطر الإنسان المعاصر على الطبيعة هذه السيطرة الفذّة، المعجزة.. وبينا يتمكن من عالمه المادي هذا التمكن العظيم.. نجده في عالم الروح.. في ميدان القيم والعلاقات.. في ساحات الفكر والفن.. في أمداء الرؤى والتصورات والاحلام.. في طرائق المعيشة والتصرف والسلوك.. يفقد اكثر السيطرة على نفسه، ويضيع...

من هذا التناقض الذي حدثنا عنه «ألكسيس كاريل» في كتابه القيم «الإنسان ذلك المجهول»، فأطال الحديث... من هذه العكسية بين تمكن الإنسان من العالم وفقدانه نفسه... من هذا التضاد بين القدرة على تسخير الطبيعة وبين عدم القدرة على تحقيق الحياة السعيدة، العادلة، الجميلة... ينشأ أعمق حزن عرفه تاريخ الإنسان..

ولكنه حزن لا يريد أصحابه أن يعترفوا به، وهم من أجل أن يغطوا عليه يضطرون الى الصراخ.. الى اتخاذ مواقف غاية في الغرابة والشذوذ واللامعقولية.. إلى ان يمثلوا على أنفسهم وعلى الآخرين.. أن يلبسوا الاقنعة ويختاروا بأنفسهم أن يتحولوا الى مهرجين وبهلوانات، تتجمع الى





كثيرة هي الكلات والتعابير والآيات والمشاهد الخاصة البالجحيم واللهب والسعير والنار والحرّ والدخان في قرآننا الكريم..

ومنها استنتج بعض المستشرقين والباحثين «الجدد» وفق مناهج «بحثهم» المعروفة، حقيقة، تصوروها غاية في الموضوعية والأهمية، تلك هي أن هذه «الكثرة» الواضحة لكل ما هو حارّ، يكوي!! ويتفجر بالحمم واللهب،إنماجاءت انعكاساً حتمياً لظهور القرآن في بيئة صحراوية، حارّة، يفترس قيظ الصيف أبناءها، ويمتص حرّ الظهيرة كل ما في أجسادهم من ماء.. ومن ثم كان «الحرّ» عدوهم اللدود، والشبح الذي يطاردهم معظم ساعات النهار، وجلّ أشهر والشبح الذي يطاردهم معظم ساعات النهار، وجلّ أشهر نفوسهم صورت لهم «اليوم الآخر» كذلك، جحياً لا يطاق نفوسهم صورت لهم «اليوم الآخر» كذلك، جحياً لا يطاق حرّه، قائظاً يتفجر باللهب، غاضباً تنادي جمراته الخيفة بالويل والثبور.

المسكين.. «اريد ان احطم هذا الدين».

وكلهم ذهبوا، أو سيذهبون، بالميتة الطبيعية الخاطفة أو بتمريغ الانوف.. أكلهم أو سيأكلهم الدود.. والذي يبقى هو «هذا الدين»، شامخا، خالداً صلباً، بمواجهة كل «التيوس» الذين تحركهم الصهيونية أو يدفعهم الاستعبار لمناطحة هذه الصخرة الشامخة، الخالدة الصلبة.. علها تتفتت يوماً.. ولكن النتيجة تجيء دامًا مصداقاً لقول شاعرنا القديم :

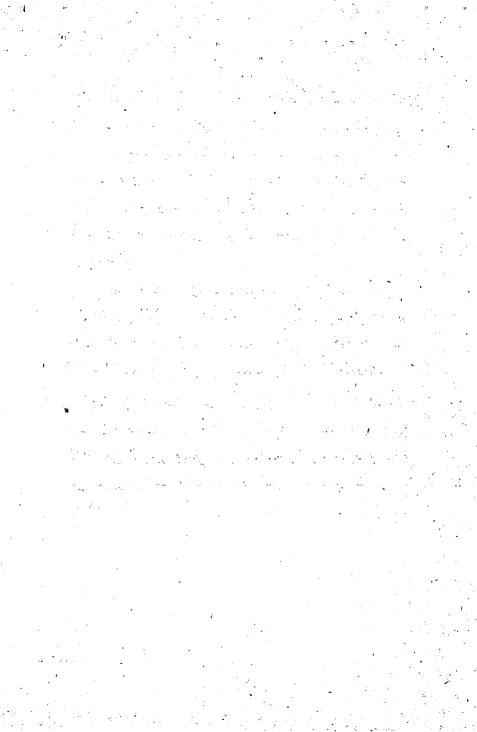
كناطحِ صخرة يوماً ليوهنها فلم يَضُرُها وأُوْهَى قرنه الوَعَلُ لك:أترى؟... إنه انعكاس آخر للبيئة الصحراوية المليئة بالأشواك!!

فإذا طرحت عليهم صيغاً أخرى معاكسة تماماً لما يجري في بيئتهم الصحراوية، بما نجده في مشاهد أهل النعيم من عيون ثرة وأنهار متدفقة، وثمار كثيرة، لا مقطوعة ولا ممنوعة، قالوا لك إن هذا هو الآخر يجيء بمثابة تحفيز للبدوي الذي لم يشهد في بيئته إلا شحاً في هذه الخيرات لكي ينتمي إلى العقيدة التي تقوده إليها يوم الحساب!!

وهكذا يمكن أن تجد هؤلاء الباحثين، يتخذون هذه المقارنات السخيفة لربط المعطيات القرآنية بالبيئة العربية، ربطاً قسرياً محكماً، سلباً وإيجاباً، كهواية يتشدّقون بها حتى ولو أوقعتهم في عشرات من التناقضات الأساسية مع مناهجهم ذاتها، كما رأينا في هذا المثال..

إنهم يصلون حدّ السذاجة - أحياناً - وهم يعتمدون أسلوبين متناقضين في مسألة علاقة المعطيات القرآنية بالبيئة العربية، ينتقلون من أحدها إلى الآخر باتجاه معاكس تماماً، كلما أحسوا أنه غير قادر على تفسير وتبرير مواقفهم تلك... فهم يردّون نصف القرآن إلى البيئة العربية باعتباره انعكاساً صادقاً لها.. ويردّون النصف الآخر إلى البيئة نفسها باعتباره





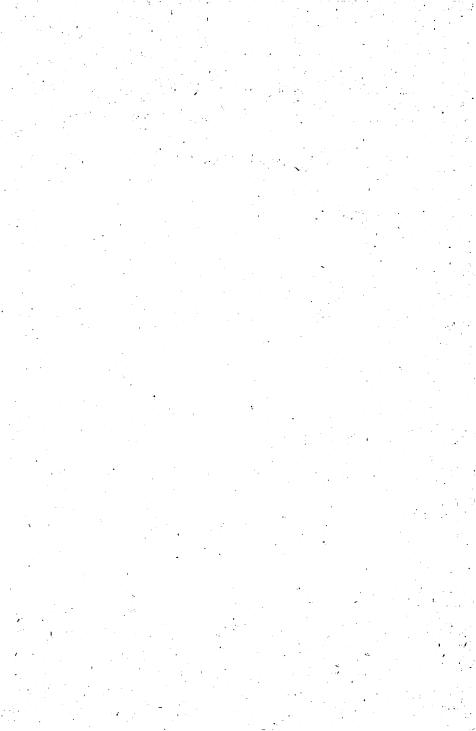
لأنه يعلم السراا



﴿لأنه﴾.. ﴿يعلم السرّ في الساوات والأرض﴾، يجيء فعله بكلمة ﴿كن﴾ قادراً على ان يصنع كل شيء.. على أن يفكك ويشكل.. على أن يهدم الكون ويبنيه من جديد في دقائق ولحظات، بل في جزء لا نقدر على قياسه من الزمن العجيب.. ﴿كن فيكون﴾.. وصدق جلّت قدرته، وتعالت عظمته..

الحق ان في القرآن الكريم تعابير وكلمآت، غربها حيناً مروراً سريعاً، فلا ندرك بعدها الحقيقي ، ولا غد ابصارنا في أعهاقها المدهشة.. لكننا، بين الحين والحين، ووفقاً «لوضعيتنا» الذهنية والنفسية، نتوقف عندبعض هذه التعابير والكلمات.. وما أشد دهشتنا واهتزازنا ونشوتنا وحزننا وفرحنا عند ذاك..

وعند ذاك ندرك المعنى الحقيقي لقوله تعالى: ﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء﴾. واننى ادعوكم لأن



المسكين.. «اريد ان احطم هذا الدين».

وكلهم ذهبوا، أو سيذهبون، بالميتة الطبيعية الخاطفة أو بتمريغ الانوف.. أكلهم أو سيأكلهم الدود.. والذي يبقى هو «هذا الدين»، شامخا، خالداً صلباً، بمواجهة كل «التيوس» الذين تحركهم الصهيونية أو يدفعهم الاستعبار لمناطحة هذه الصخرة الشامخة، الخالدة الصلبة.. علها تتفتت يوماً.. ولكن النتيجة تجيء دامًا مصداقاً لقول شاعرنا القديم :

كناطحِ صخرة يوماً ليوهنها فلم يَضُرُها وأُوْهَى قرنه الوَعَلُ

والعبث واللامعقول..

إننا نعيش فعلاً عصر الغرابة والعبث واللامعقول..

فبينا يسيطر الإنسان المعاصر على الطبيعة هذه السيطرة الفذّة، المعجزة.. وبينا يتمكن من عالمه المادي هذا التمكن العظيم.. نجده في عالم الروح.. في ميدان القيم والعلاقات.. في ساحات الفكر والفن.. في أمداء الرؤى والتصورات والاحلام.. في طرائق المعيشة والتصرف والسلوك.. يفقد اكثر فأكثر السيطرة على نفسه، ويضيع...

من هذا التناقض الذي حدثنا عنه «ألكسيس كاريل» في كتابه القيم «الإنسان ذلك المجهول»، فأطال الحديث... من هذه العلاقة العكسية بين تمكن الإنسان من العالم وفقدانه نفسه... من هذا التضاد بين القدرة على تسخير الطبيعة وبين عدم القدرة على تحقيق الحياة السعيدة، العادلة، الجميلة... ينشأ أعمق حزن عرفه تاريخ الإنسان..

ولكنه حزن لا يريد أصحابه أن يعترفوا به، وهم من أجل أن يغطوا عليه يضطرون الى الصراخ.. الى اتخاذ مواقف غاية في الغرابة والشذوذ واللامعقولية.. إلى ان يمثلوا على أنفسهم وعلى الآخرين.. أن يلبسوا الاقنعة ويختاروا بأنفسهم أن يتحولوا الى مهرجين وبهلوانات، تتجمع الى



يؤكد القرآن الكريم على أن الذين يلتزمون الصراط المستقيم في مسيرتهم عبر الحياة الدنيا، انما يفعلون ذلك بارادة الله سبحانه، وأن الذين يختارون الظلمات يصدرون في ذلك عن ارادة الله..

وللوهلة الاولى يبدو أن الإنسان مغبون، وانه مقدر عليه سلفاً أن يجتاز هذا الطريق أو ذاك. الا ان المتمعن في معاني الآيات وارتباطاتها عبر القرآن كله سيجد نفسه جُثاً عن حقيقة واضحة كنور الشمس: ان الذي يجهد نفسه جُثاً عن حقيقة التوحيد في الكون، ويجاهد من أجل الاقتناع الذاتي والايان البصير، سيصل هدفه بمعونة الله وقدره، والذي يتنكر لها رغم دلائلها التي لا تحصى في صفحة الكون، مستعيضا عنها بما هو اكثر سهولة وارخص مطلبا، سيضل الطريق بارادة الله وقدره!!

ذلك أن الهدى والضلال الألهيان أنما ينبثقان عن أسبابها الطبيعية اعتاداً على النواميس الإلهية التي رتبت المسببات فعلاً قديراً على التغيير.. ان الرفض الصامت هو الآخر (عمل) من اجل التغيير، تهيئة وتمهيد للكلمة الغاضبة واليد الضاربة.. ومن ثم فان موقف الاديب هو تحميل «الكلمة »كل ما تستطيع حمله في عملية التغيير.. وهو تغيير دايناميكي ابدي ما دام هنالك ظالم ومظلوم.. وان رسولنا (عيلية) قد طرح هذا البعد الدايناميكي لكي يغطي كل زمان ومكان، دوغا توقف...

والمعروف والمنكر يصطرعان، ويتبادلان المواقف كاصطراع الليل والنهار وتبادل الشمس والقمر.. والجهاد، ماض، بتعبير الرسول، الى يوم القيامة..

وهنا نلتقي مع كل حركة (التزام) تسعى الى تحميل الكلمة مسؤوليتها في تاريخ الانسان وحركته صوب الحق والعدل. ولكننا نفترق مع هذه الحركات (كالماركسية والوجودية...) في تحديد طبيعة الظلم ومساحته.. فالشيوعية ترى مساحته مقصورة على حاجة الانسان الى الطعام .. على طاغية يتخم وفقير يموت جوعاً.. والوجودية تراها كذلك، بدافع من مركب نقصها ازاء الماركسية ومن الانتاء اليهودي الواحد لمؤسسي الحركتين، وتضيف اليها مسألة « الحرية » المتبادلة بالالتزام.. والكلمة تجيء – اذن – لتعزيز حرية الانسان وهو يناضل

الفكاك منه مها جهد، يؤكد القرآن - مراراً - على ان بعدور الانسان في أية لحظة من عمره الطويل ان يعدل من اختياراته السابقة لكي يمارس اختياراً جديداً.. وما أن تتوفر لديه النية القاطعة في «التوبة»أو «الارتداد»حتى يجيء القدر الالهي لكي يسوق التائبين الى جنة الغفران ويسعى بالمرتدين الى جحيم المروق والعصيان!! إن اي انسان (تائب) بمجرد احساسه المؤمن العميق بأن الله معه، يرعاه ويسدد خطاه، سيجد في نفسه قدرة خارقة على الصعود السريع صوب القمة.. وما اكثر الشهداء والقديسين الذين انطلقوا من أوحال الخطيئة والعفن الى آفاق النور والصفاء!!

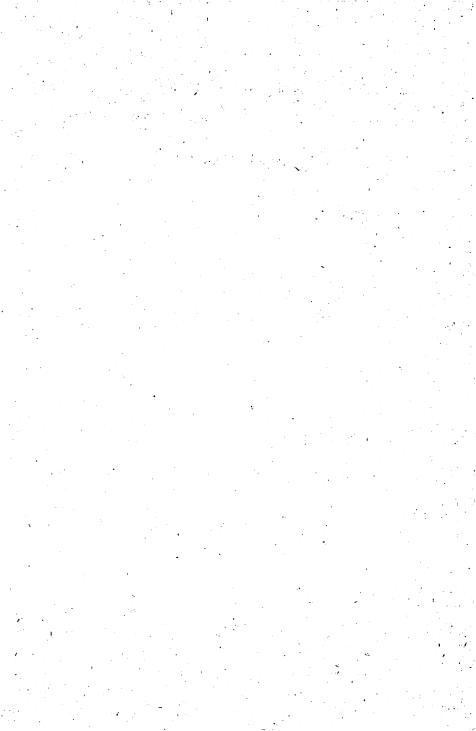


إنما الأعمال بالنيات...

يعتمد أدوات «اللغة» المناسبة لإيصال أكبر قدر من الأفكار إلى عقول المثقفين ونفوسهم، إذ يجب أن يكون هناك ترابط عضوي وتسلسل منطقي بين الكلمات والجمل والفقرات والفصول، بحيث أن أي تغيير في وضع واحدة منها، تقدياً أو تأخيراً، يقود الى تفكك في البحث واضطراب في صياغته. رغم أن أبحاثاً كثيرة تطرح، ولشدة تفككها وعدم تماسكها، فإن بإمكاننا أن نجري تغييراً في مواقع كلماتها وجملها وفقراتها وفصولها دون أن يلحق بالبحث أي أذى، تماماً كما يبني إنسان ما بيتاً كثير الحجرات والردهات، وهو لا يعرف من علم الهندسة المعارية شيئاً، ومن ثم فإن التفكك والفوضي وانعدام الجناظر واختلال التناسب سيمكن أي إنسان من أن يجري تغييراً في التصميم المرتجل دون أن يلحق بالبيت أي أذى..

إن الكلمة الزائدة التي لا تخدم معنى في الجملة بجب أن تستبعد، والجملة العابرة التي لا تأخذ مكاناً مناسباً في الفقرة يجب أن تلغى، والفقرة المرتجلة التي لا تؤدي دورها البنائي إزاء رفيقاتها يجب أن تهمل، ومجموع الفقرات التي لا تحمل في طياتها فكرة جديدة أو عنصراً أساسياً في البحث يجب ألا تأخذ أية مساحة على الورق..

ليس هذا فحسب بل إن البحث بجموعه، إن لم يضف



ويقول آخرون إنه فارغ جاهل، متسيّب لا يشعر بسؤوليته ولا يجمل ضميراً، وهو إنما يغطي عجزه في المادة والتدريس بهدا السخاء في الدرجات، فهي على كل حال لا تخرج من جيبه ولا تفقده شيئاً، على العكس، ربما تزيده محبة لدى الطلاب وتقديراً لدى الدين والرؤساء....

والمدرس الذي تقل نسب النجاح بين طلابه وتنخفض المعدلات الجيدة، يقولون عنه إنه جاد صارم، لا يمنح الدرجات جزافاً، وهو مستعد لأن يضحي بمحبة الطلاب له وتقدير الإدارة لجهوده، على أن يفرط بكرامة العلم وموازينه العادلة الدقيقة بشيء...

ويقول آخرون إنه عاجز، فاشل، لا يملك علماً ولا أسلوباً يمكنه من توضيح المادة للطلاب، ومن ثم يبقى هؤلاء دون المستوى المطلوب وتجيء نتائجهم محملة بالأصفار المرصوفة الى اليسار!!

وحتى العبادة والمتعبدين. لم ينجوا من هذه الثنائية وهذا التناقض في الحكم الاجتاعي، فالذي يكثر من الذهاب إلى المساجد وتلاوة القرآن والتصدّق

فعلاً قديراً على التغيير.. ان الرفض الصامت هو الآخر (عمل) من اجل التغيير، تهيئة وتمهيد للكلمة الغاضبة واليد الضاربة.. ومن ثم فان موقف الاديب هو تحميل «الكلمة »كل ما تستطيع حمله في عملية التغيير.. وهو تغيير دايناميكي ابدي ما دام هنالك ظالم ومظلوم.. وان رسولنا (عيلية) قد طرح هذا البعد الدايناميكي لكي يغطي كل زمان ومكان، دوغا توقف...

والمعروف والمنكر يصطرعان، ويتبادلان المواقف كاصطراع الليل والنهار وتبادل الشمس والقمر.. والجهاد، ماض، بتعبير الرسول، الى يوم القيامة..

وهنا نلتقي مع كل حركة (التزام) تسعى الى تحميل الكلمة مسؤوليتها في تاريخ الانسان وحركته صوب الحق والعدل. ولكننا نفترق مع هذه الحركات (كالماركسية والوجودية...) في تحديد طبيعة الظلم ومساحته.. فالشيوعية ترى مساحته مقصورة على حاجة الانسان الى الطعام .. على طاغية يتخم وفقير يموت جوعاً.. والوجودية تراها كذلك، بدافع من مركب نقصها ازاء الماركسية ومن الانتاء اليهودي الواحد لمؤسسي الحركتين، وتضيف اليها مسألة « الحرية » المتبادلة بالالتزام.. والكلمة تجيء – اذن – لتعزيز حرية الانسان وهو يناضل

(علمي) (جاد) سنوات وسنوات.. وقال آخرون اني أحب الشهرة وأهوى أن تسلط الاضواء علي، واني – بالمقاييس الايمانية – لا أبتغي وجه الله والإسلام وانما وجه ذاتي ومصلحتي..

توقّف صديقي ريبًا يلتقط أنفاسه، ثم استطرد قائلاً: وقلة من الناس هي التي قرأت أعمالي كلها فقدَّرتها حق قدرها وأصدرت بشأنها الحكم الموضوعي العادل الذي يشير - بانصاف - الى مواضع الخطأ والصواب.

ولكن - أجبته معزّياً - من خلال هذا الضياع في المواقف، وهذه الفوضى في أحكام الناس، وهذا التناقض في تقييمهم للمارسات المختلفة، تنزل كلمات الله وأحاديث رسوله الكريم برداً وسلاماً على قلوب المتعبين، بما تطرحانه من مقاييس دقيقة عادلة إزاء الجهد البشري: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. وأن سعيه سوف يُرى، ثم يُجزاه الجزاء الأوفى ﴾. ﴿فمن يعمل مثقال ذرة شراً يعمل مثقال ذرة شراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴿ ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم، إن بعض الظن إثم ﴾. ﴿ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم،

فعلاً قديراً على التغيير.. ان الرفض الصامت هو الآخر (عمل) من اجل التغيير، تهيئة وتمهيد للكلمة الغاضبة واليد الضاربة.. ومن ثم فان موقف الاديب هو تحميل «الكلمة »كل ما تستطيع حمله في عملية التغيير.. وهو تغيير دايناميكي ابدي ما دام هنالك ظالم ومظلوم.. وان رسولنا (عيلية) قد طرح هذا البعد الدايناميكي لكي يغطي كل زمان ومكان، دوغا توقف...

والمعروف والمنكر يصطرعان، ويتبادلان المواقف كاصطراع الليل والنهار وتبادل الشمس والقمر.. والجهاد، ماض، بتعبير الرسول، الى يوم القيامة..

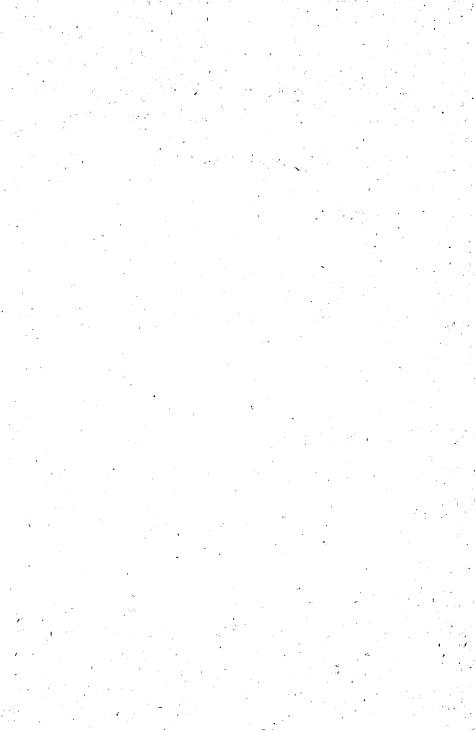
وهنا نلتقي مع كل حركة (التزام) تسعى الى تحميل الكلمة مسؤوليتها في تاريخ الانسان وحركته صوب الحق والعدل. ولكننا نفترق مع هذه الحركات (كالماركسية والوجودية...) في تحديد طبيعة الظلم ومساحته.. فالشيوعية ترى مساحته مقصورة على حاجة الانسان الى الطعام .. على طاغية يتخم وفقير يموت جوعاً.. والوجودية تراها كذلك، بدافع من مركب نقصها ازاء الماركسية ومن الانتاء اليهودي الواحد لمؤسسي الحركتين، وتضيف اليها مسألة « الحرية » المتبادلة بالالتزام.. والكلمة تجيء – اذن – لتعزيز حرية الانسان وهو يناضل

كتاب ليس كالكتب!!

فعلاً قديراً على التغيير.. ان الرفض الصامت هو الآخر (عمل) من اجل التغيير، تهيئة وتمهيد للكلمة الغاضبة واليد الضاربة.. ومن ثم فان موقف الاديب هو تحميل «الكلمة »كل ما تستطيع حمله في عملية التغيير.. وهو تغيير دايناميكي ابدي ما دام هنالك ظالم ومظلوم.. وان رسولنا (عيلية) قد طرح هذا البعد الدايناميكي لكي يغطي كل زمان ومكان، دوغا توقف...

والمعروف والمنكر يصطرعان، ويتبادلان المواقف كاصطراع الليل والنهار وتبادل الشمس والقمر.. والجهاد، ماض، بتعبير الرسول، الى يوم القيامة..

وهنا نلتقي مع كل حركة (التزام) تسعى الى تحميل الكلمة مسؤوليتها في تاريخ الانسان وحركته صوب الحق والعدل. ولكننا نفترق مع هذه الحركات (كالماركسية والوجودية...) في تحديد طبيعة الظلم ومساحته.. فالشيوعية ترى مساحته مقصورة على حاجة الانسان الى الطعام .. على طاغية يتخم وفقير يموت جوعاً.. والوجودية تراها كذلك، بدافع من مركب نقصها ازاء الماركسية ومن الانتاء اليهودي الواحد لمؤسسي الحركتين، وتضيف اليها مسألة « الحرية » المتبادلة بالالتزام.. والكلمة تجيء – اذن – لتعزيز حرية الانسان وهو يناضل



وانسجامها مع بنية الانسان والعالم والكون، وأن ندرك في الوقت نفسه، ما جرته المبادىء الوضعية على الناس، عبر قرون الارتجال الطويلة، من مآس وقلق وتشتت واضطراب، يستقطبها جميعاً موقف خطير واحد، هو «التنافر» مع سنن الحياة والكون، والاصطدام بها والتقاتل معها...

ترى كم كلف هذا الوضع المضاد، غير الطبيعي، من جهد وعناء ونكد وشقاء لا تزال البشرية حتى الآن ترزح في أعبائه المتراكمة؟

يستطيع أي واحد منا أن يتمعن في هذا الموقف القرآني من خلال هذه الآيات: ﴿ أَيحسب الإنسان أن يُرَك سدى؟ ﴾.... ﴿ وان ليس للإنسان الا ما سعى. وان سعيه سوف يرى. ثم يجزاه الجزاء الأوفى ﴾.... ويقابله بنقيضه من العبث واللامعقول، وانعدام الجدوى وضياع الجهد البشري، وغبن الانسان الذي يقف وحيداً أعزل في كون لا يأبه له.... والتي تغطي مساحات واسعة من الفكر البشري وبخاصة في عصرنا الراهن هذا عصر العبث واللامعقول.... لكي يدرك أصالة الموقف القرآني وعمقه وشموله.... ويرى بوضوح يدرك أصالة الموقف القرآني وعمقه وشموله.... ويرى بوضوح المبئرى في العالم...

جزئياته وتفاصيله جميعا.

أما كان تاريخنا العقائدي في غنى عن (تظاهرات) المعتزلة الفكرية وتشبثهم المبالغ فيه بالعقل واضطهادهم المذهبي لكل معارض، وهم يقرأون في ما يزيد عن سبعمائة وخمسين موضعاً من القرآن دعوة لإعال الفكر البشري في كل صغيرة وكبيرة، وفي تحريك العقل، تلك الهبة الإلهية المعجزة لحل المسائل الأساسية في حياة الانسان وفهم الأبعاد الشاملة للمعطيات القرآنية.. لكنهم يقرأون في الوقت نفسه، ان العقل وحده ليس بقادر على انتشال الانسان من معضلاته الكونية وانه لو كان قادرا فعلاً على تحقيق هذه المهمة، لم تكن هناك حاجة اساساً لمجيء الأديان وإنزال القرآن.. ويلتقون في عشرات المواضع القرآنية بحقيقة أن وراء هذا العالم، الذي يمكن للعقل أن يتعامل معه، عالم غيبي شامل بعيد، خفي محيط، يندّ عن قدرات الانسان العقلية والحسية، ولكنه حق واقع كما أن عالم الطبيعة الملموس حق واقع، وان الايمان به والتسليم بوجوده يجيء بمثابة حجر الزاوية لكل ايمان حقيقي كامل؟

فاذا كان كتاب الله يقدّم لنا المسألة بطرفيها، فلماذانجنح صوب هذا الاتجاه أو ذاك، ونغادر الموقع الوسطيّ الشامل، المتوازن، الذي منحنا اياه القرآن ان كنا محبين فعلاً لله، لا

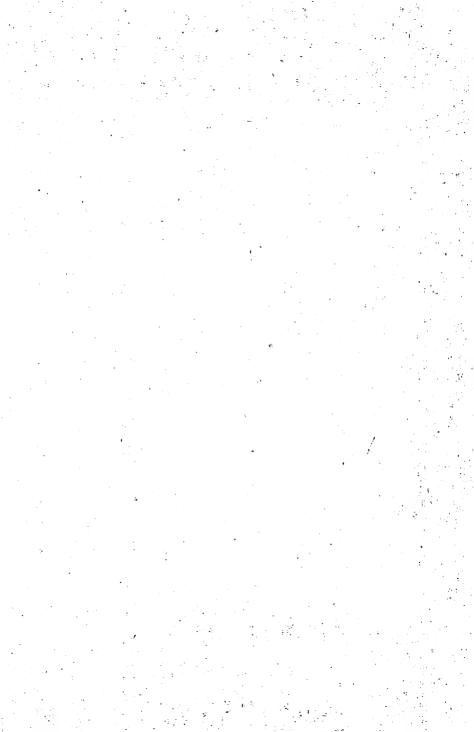
قدره، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والساوات مطويات بيمينه.. ♦ ويقابلها - من جهة - بعطيات العلم التي تحدثنا عن حجم هذا الكون الرهيب الذي يسقط الخيال دون بلوغ عشر معشار أبعاده المكانية الهائلة، وكتله الصاء الفخمة التي ' يزيد حجم بعضها ملايين المرات عن حجم الشمس... ويقابلها من جهة أخرى بالموقف البشري الذي كثيراً ما يتميز بالغرور والانتفاخ والتعاظم، والاعتقاد بأنه لا شيء يقف في طريق الإنسان، ليصدُّه عن بلوغ أهدافه وأنه لا توجد قوة في الكون تقف قبالة أهدافه ومطامحه وأنه يغزوه للفضاء واجتيازه عتبات الكون الأولى، سيواصل طريقه صعداً وسيكتشف، أو قد اكتشف كما قال أحد رواد الفضاء السوفييت،أنه لا اله هناك، وأن ليس إلا الإنسان وحده في الكون.. لكي ندرك بعد هذا كله كيف يضعنا القرآن الكريم من خلال موقفه هذا، على أرضيتنا الحقيقية، ويدفعنا لأداء مهمتنا دون زيف أو غرور أو مبالغة أو تضخم مرضى في التصور، يحجب عنا الرؤية الحقيقية والإيمان المدرك، بأن وراء هذا الكون المنظم المنسّق المتقن، قدرة إلهية لا تحد، سريعة نافذة، أوجدته في ستة أيام، وهي قديرة على لمه ثانية وإعادة طيه بيد الله مرة أخرى.

وعشرات، بل مئات، من هذه المواقف القرآنية الأساسية،

يكن أن تقف أمام أي منها على انفراد لكي ما تلبث أن تفرض على وعينا وإدراكنا أننا إزاء كتاب ليس كالكتب، وإزاء دين ليس كالمذاهب والأديان.. فكيف بنا إذا وقفنا أمامها في تناسقها وتكاملها وارتباطاتها المعجزة الشاملة،كيف يكون المردود؟!



أفر من قدر الله إلى قدر الله!!



عدما فهم المسلمون الأوائل «القدر» على حقيقته العميقة أعطاهم قوة «خارجية» هائلة على الاندفاع «التاريخي»، ومنحهم - في الوقيت نفسه - قيدرة «داخلية» عظيمة على التوحد النفسي... وهذا وذاك صنعوا الكثير المدهش، وقدموا للعالم صيغة عمل ذاتي وجماعي لا نزال نطمح إلى تحقيقها حتى الآن في قارات الدنيا الست..

لقد صنع القدر، وقد أدركه المسلمون على حقيقته: الإنسان المتوحد الفعّال، والمجتمع الحركي المجاهد... وهذا هو سرّ الأخلاق العظيمة والإنجاز الكبير لفترة تألقنا التاريخي.. فترة الإيمان.. والالتزام.. والذكاء!

ليس القدر، وفق مفهومهم العميق الذي أتاهم به كتاب الله، تصادم إرادات متضادة، ولكنه تساوق هذه الإرادات..

وليس القدر غشماً وقهراً كونياً لحشد من المخلوقات التافهة المستضعفة وسوقها إلى حتوفها.. ولكنه قوة لانهائية، عادلة،

تمتد إلى بني آدم في ساعات تيههم.. وحيرتهم، لكي تدفعهم إلى أهدافهم السعيدة التي ما كان بمقدورهم الذهاب إليها منفردين..

وليس القدر ضربة مفاجئة تجيء على حين غفلة لكي تفتت الانسان وتمزقه شر ممزق.. ولكنه إضاءة مكثفة تنقدح بين الحين والآخر في جنبات النفس البشرية لكي تمنحها المعرفة والرؤية والقدرة على التوحد والانسجام.

وليس القدر حظاً أعمى، ولعبة مجهولة النتيجة، وصدفة عمياء...

ولكنه معادلة رياضية مركبة، من الدرجة الرابعة، تجيء نتائجها دائماً صادقة، صحيحة، ولكن الذين يقدرون على حلها، وعلى تبين تكاملها المعقد المدهش، قلة من الناس في كل زمان ومكان..

إلا أن أجيالنا الأولى كانت جميعاً قديرة على اجتياز هذا التعقيد، وحسل رموز هذه المعادلة الكونية الكبيرة..

من أجل هذا وجد الانسان المسلم نفسه يومذاك، وهو يتلقى الضوء والدفع أيضاً، لتحقيق توحده وتناغمه وانسجامه عن طريق مزيد من الجهاد والعطاء.. على درب الله

الذي لا يغبن الناس مثقال ذرة من خير أو شرّ..

ومن أجل هذا أيضاً وجد الجتمع المسلم نفسه ينساح مجاهداً في مشارق الأرض ومغاربها، وهو يحمل بين جنبيه اعتقاداً عظياً بأنه ينفذ مهمة كونية عادلة ويصنع عالماً منطقياً باهراً..

سواء رأى بأم عينيه نتائج هذه المهمة، وجمال هذا العالم، أم سقط في الطريق..

إن المؤمن يموت يوم يموت، في ساحة الحرب أم على فراشه، لأنه مرسوم في خارطة الله أنه ميّت هناك، فعلام يتردد أو يخاف؟

إن المؤمن من خلال تصوره هذا يجد في القدر زخماً عظياً للانطلاق، وليس كما يريد البلهاء أو الخبثاء أن يصوروه أو يتصوروه: سبباً من أسباب العجز والتواكل والقعود..

والمؤمن يخفق أو يفوز، في هذا الميدان أو ذاك، لأنه مكتوب في علم الله أنه في الميدان ذاك ناجح أو خسران.. فعلام يحزن أو يقلق أو يخاف؟

إن النجاح سوف يدفعه إنى إنجازات أخرى، والإخفاق لن يصدّه عن القيام ثانية والمضي على الطريق..

وسواء كانت تجربة الفوز والإخفاق على مستوى الواقع

الخارجي أم الأخلاقي، فالأمر سواء..

إننا من خلال نسبيتنا وعجزنا وقصورنا، ومن خلال شعورنا المتورم بقدراتنا في الوقت نفسه نتصور ، مخطئين ، أن إراداتنا هي البدء والمنتهى ، وأنها تمارس عملها مستقلة استقلالاً تاماً . .

ومن ثم لا نستطيع أن ندرك كثيراً من المسائل، وعلى رأسها حقيقة أن أعالنا كلها مرسومة بمعطياتها ونتائجها، بجزئياتها وتفاصيلها، على خارطة أوسع بكثير من خرائطنا الخاصة وفي دائرة أكبر بكثير من دوائرنا المحدودة.... ونتصور أننا مغبونون إذ قدّر علينا هذا دونما اختيار منا ولا إرادة..

إن كل مرشح لمنصب الرئاسة، أو لأي منصب آخر، يتمنى لو يحظى بهدفه... لو يملك الحرية لكسب معظم الأصوات التي توصله إلى أمنيته... لكنه يعرف أن حرية من هذا النوع غير موجودة بالمرة، وأن نجاحه أو إخفاقه يتوقف على عشرات العوامل والمواقف والاختيارات المعقدة المتشابكة، ومن خلال هذا النسيج المتداخل يتحرك الانسان ويمارس حريته بالقدر الذي أتيح له... والرجل الذي يرفض التصويت له ليس بمقدور قوة في الأرض أن تجعله يغير موقفه

هـذا... وإذا ما حدث وأن أشارت الاستفتاءات والاختبارات والإحصائيات العلمية التقنية الدقيقة إلى احتال إخفاقه، فإنه مكتوب عليه أن يجابه الفشل قبل أن يصبح أمراً واقعاً، رغم المدى الواسع لحريته في السعي من أجل الفوز بأية طريقة ووفق أي أسلوب شريف!

والحق.. أن إرادة أي واحد منا إغا تمارس حريتها الكاملة في حدود دائرتنا الانسانية فحسب، وإلا لم يكن هنالك عدل أساساً، لكننا إذ نتحرك في دوائر أكبر بكثير من دائرة حياتنا الخارجية، وتشتبك إرادتنا مع إرادات شي عبر تلك الدوائر التي تتجاوز الفرد والمجتمع والطبيعة والعالم.. إلى ساحة الكون كله، وتغادر الواقع المنظور إلى الغيب الخفي، واللحظة الراهنة إلى الخلود، والجزئي المحدود إلى الكلي اللانهائي.. إذ يحدث هذا كله فلنا أن نتوقف عن السعي لحل هذه المعادلة، وقد ازدادت تعقيداً وتركيباً بالطرائق الحسابية السهلة المبسَّطة لأننا سوف لن نصل إلى نتيجة آنذاك..

أكثر من هذا ، إننا غارس خطأ أشنع بكثير عندما ننسب إراداتنا إلى إرادة خالقنا ونحاول أن نقيس ونشبه ونجمع ونطرح.. وكما أنه يستحيل في بداهات الحساب أن نجمع ثلاث برتقالات إلى تفاحتين ونقول: خسة.. كذلك في

عالم الفكر وبداهاته، يغدو من المستحيل إجراء أية مقارنة بين إرادة الانسان وإرادة خالق الإنسان..

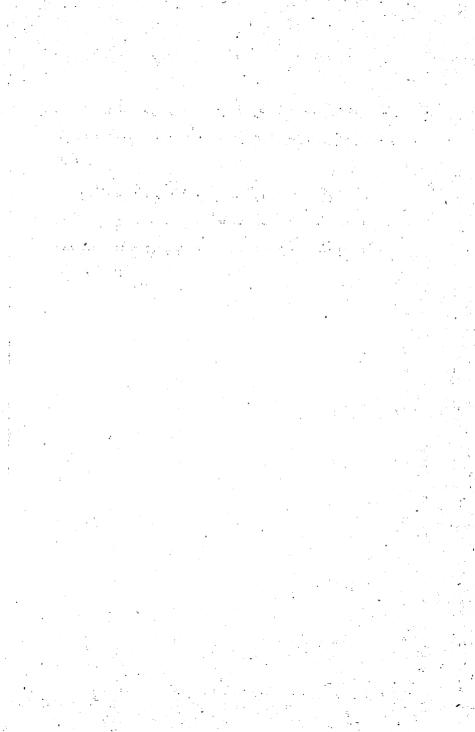
إن هنالك تنظياً كونياً للمصير، أكبر بكثير من مصائرنا، وأشد تعقيداً، وأبعد عن الرؤى والتحليلات المباشرة... إن المسألة كثيراً ما تند عن مقدرة الفكر على التحليل... والمؤمن العميق هو الذي يحوّل المسألة إلى دائرة القناعة الوجدانية، وهناك سيعود ثانية، وقد انقدح ذكاء الفؤاد، بفهم أكبر للعلاقة بين القدر والحرية، بين كلمة الله وإرادة الإنسان.

عندما تدهس سيارة رجلاً ما، فإن الذي قتله ليس تخبطه في السير فحسب، ولكنها تعقيدات الحضارة كلها، ابتداء باختراع السيارة وانتهاء بكثافة السكان ونظام المرور... إن الرجل كان بمقدوره أن ينجو لو سار بنفس الطريقة الهوجاء، في نفس المكان، قبل مائة عام.. لكنه الآن كان محمًا أن يموت.. إن هنالك أكثر من طريقة واحدة تسهم جيعاً في صياغة مصائرنا الصغيرة والكبيرة على السواء.. وهي جميعاً محصورة سلفاً في علم الله..

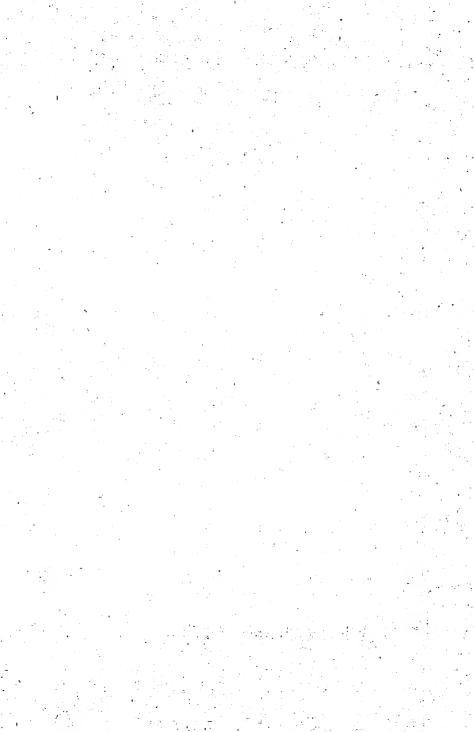
هذا على مستوى الحياة في مدينة صغيرة، فحسب، فكيف على مستوى الارتباطات في مسرح الكون الكبير؟

لقد قالها عمر بن الخطاب (رض)، عندما غادر الشام الموبوء بالطاعون عائداً إلى الحجاز: «افر من قدر الله إلى قدر الله»..

وذلك هو الفهم الأعمق لموقف الإنسان في الكون ما دامت حياته ووجوده ومصيره، المعقدة المتشابكة، ذات الأطراف المعديدة، تخضع في نهاية الأمر لإرادة فوقية شاملة واحدة هي إرادة الله!!



الكلمة.. عندما تصنع التاريخ



«الكلمة» التي تفعل فعلها في تحديد مسار التاريخ وصياغة مصائره هي التي تنفخ روح «الحركة» في ضائر الناس وعقولهم وافئدتهم، فتبعثهم خلقاً جديداً لكي يمارسوا مهمتهم في صنع التاريخ وحفر مجاريه الكبيرة عبر الزمان والمكان... هي التي تنساب الى خلاياهم فتغذيها وتبنيها واحدة واحدة... هي التي تتشرّها دماؤهم وتتمثلها أعصابهم، فتحيل كل فرد منهم إلى «الكلمة» ذاتها وهي تتحرك وتفعل وتهدم وتبني وتنسجم وتثور..

وهكذا تنزلت الكلمة القرآنية على الجيل الأول من دعاة الإسلام، أولئك الذين صنعوا تاريخنا وتسلموا القيادة، وغيروا وجهة المسيرة البشرية من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن العبودية للعباد إلى عبودية الله وحده..

وهكذا غدا كل واحد منهم «قرآناً» يشي على الأرض ويؤدي دوره العظيم في تعبيد «الصراط المستقيم» الذي يكفل

للإنسان العدل والحرية والخلود..

لقد كان على رجال الفكر، على طول التاريخ، أن يتخذوا أحد موقفين:

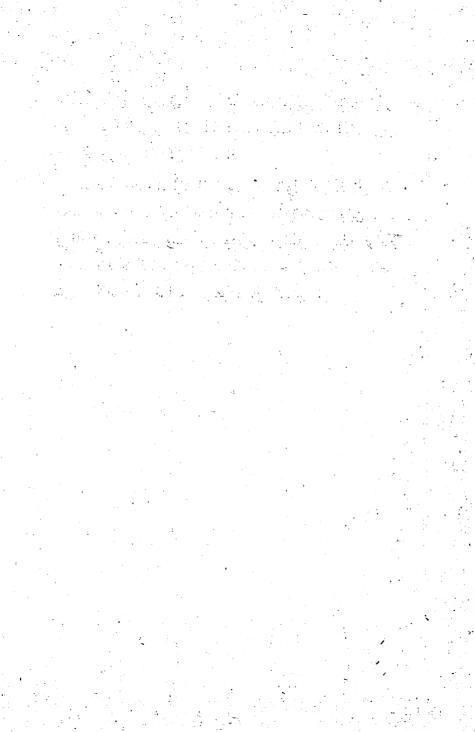
إما أن ينفخوا روحهم في كلهاتهم، فيحيلوها أدوات حية فاعلة في حركة الأمم والجهاعات والشعوب... ولن يتأتى هذا، ببساطة أو بالجان.. ولكن بأن يكون «الايمان الكبير»قد تغلفل في كيان المفكر واستقر في أعهاق الأعهاق، وملك عليه حسّه وفكّره وروحه.... وأصبح بالنسبة إليه بمثابة الماء والغذاء

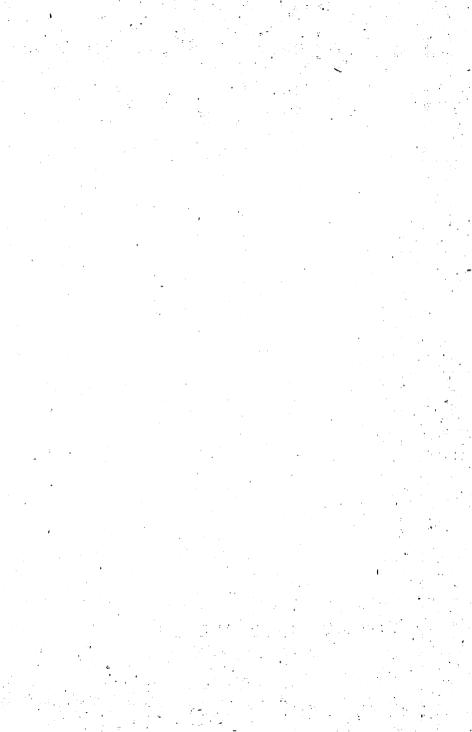
وإما أن يرسموا كلهاتهم، ويطلقوها، كها يكتب عالم الرياضيات الأرقام الميّتة الصّمّاء، ويرصفها إلى بعضها، باردة، متيبسة، ميّتة، لا تقدر على صنع شيء، ولا تسهم في مجريات الفعل البشري الذي يصنع التاريخ.. وهذه الكلهات الساكنة تجيء يوم تجيء، لأن المفكر في حقيقة الأمر يفتقد الإيمان الكبير.. الإيمان بقضية ما هي بمثابة الينبوع الذي تتفجر عنه الكلهات الحبية.

إن «الكلمة» طالما جردت من قدرتها على «التحريك» و «البناء» و «التغيير» طالما لفظتها الحياة الصاخبة، المتحركة، ونفتها من قاموسها الحيّ الذي لا يعرف

السكون، إلى بطون الكتب الميتة الصفراء التي يكفنها الغبار، وينخر فيها السوس، ويحيطها صمت ميّت كذلك الذي يرين على القبور في الأماكن النائية!!

فحذار حذار.. أيها المسلمون أن تؤول كلهاتكم الى هذا المصير الذي آلت اليه كلهات أرسطو وأفلاطون، وابن سينا والفارابي، وهيغل وسبنسر، وديوي وراسل.. وهذا قرآنكم العظيم يعلمكم كيف تكون «الكلمة» حركة دائمة من أجل شرف الإنسان، وكرامته، وتفرّده على العللين!!





والعبث واللامعقول..

إننا نعيش فعلاً عصر الغرابة والعبث واللامعقول..

فبينا يسيطر الإنسان المعاصر على الطبيعة هذه السيطرة الفذّة، المعجزة.. وبينا يتمكن من عالمه المادي هذا التمكن العظيم.. نجده في عالم الروح.. في ميدان القيم والعلاقات.. في ساحات الفكر والفن.. في أمداء الرؤى والتصورات والاحلام.. في طرائق المعيشة والتصرف والسلوك.. يفقد اكثر فأكثر السيطرة على نفسه، ويضيع...

من هذا التناقض الذي حدثنا عنه «ألكسيس كاريل» في كتابه القيم «الإنسان ذلك المجهول»، فأطال الحديث... من هذه العلاقة العكسية بين تمكن الإنسان من العالم وفقدانه نفسه... من هذا التضاد بين القدرة على تسخير الطبيعة وبين عدم القدرة على تحقيق الحياة السعيدة، العادلة، الجميلة... ينشأ أعمق حزن عرفه تاريخ الإنسان..

ولكنه حزن لا يريد أصحابه أن يعترفوا به، وهم من أجل أن يغطوا عليه يضطرون الى الصراخ.. الى اتخاذ مواقف غاية في الغرابة والشذوذ واللامعقولية.. إلى ان يمثلوا على أنفسهم وعلى الآخرين.. أن يلبسوا الاقنعة ويختاروا بأنفسهم أن يتحولوا الى مهرجين وبهلوانات، تتجمع الى

الدنيا هذه أكثر من وجه وأكثر من امتداد، بعضها يغور في أعهاق النفس لكي يلامس النية التي تكمن وراء الأقوال والأفعال، والتي لا يكشف غيبها إلا الله، وبعضها يتد إلى صفحة العالم الخارجي لكي يبرز للأنظار، ولكن من زوايا مختلفة تجعل الرؤية ليست واحدة ولا متجانسة في أغلب الأحيان.

وليس بميسور أكثر التشريعات تفصيلاً أن تحيط بكل هذه الامتدادات، وليس من المنطق – كذلك – أن يحمل التشريع نفسه بآلاف من الجزئيات التي لا تكف عن التمخض والتدافع..

وليس - إذن - غير «البداهة الدينية» أو الإيمانية، تلك التي يكونها الإسلام في نفس المؤمن، في أعاق قلبه وطوايا ذهنه، والتي يشدّها الى قيم الإيمان العميقة والتقوى الدائمة والإدراك المسؤول... ليس غير البداهة الدينية حكماً في الموضوع..

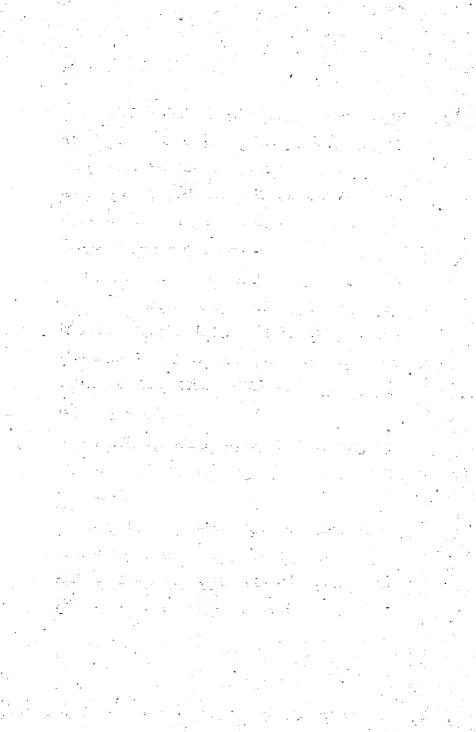
إن «اللعب» - على سبيل المثال - هذا الذي يوليه رجال التربية أهمية فائقة في شتى مراحل النمو، يمكن أن يتد - على المستوى الشرعي - إلى أكثر من جهة، ويتلبّس أكثر من قناع، ويصل إلى أكثر من غاية،

وبدون النية المخلصة المسؤولة، وبدون البداهة الدينية التي تعرف ما تأخذ وما ترفض، فإن المسلم يمكن أن يضيع وسط عشرات «التبريرات» وهو يمارس من اللعب أوجها لم يتكلم عنها «الشرع» مباشرة، إلا أنها تقرب أو تبعد، بدرجات متفاوتة، عها يكمن وراء التشريع: الروح والجوهر والشخصية...

إن أية لعبة – على سبيل المثال – يمكن أن ترهق تروّح عن القلب، وتنشر الحبة، ويمكن أن ترهق الأعصاب وتستنزف الوقت والطاقة، وتنشر العداوة والبغضاء... قد ترّن على عمل إيجابي وقد تخلق عادات سيئة.. قد تنشر تقاليد أخلاقية طيبة وقد تقود الى تقليد وثني مرفوض..

وما يقال عن اللعب، بل عن لعبة ما، تحمل أكثر من وجه، يمكن أن يقال عن أية ممارسة في حياتنا الدنيا هذه..

والمسلم المسلم هو الذي «يدرّب» بداهته الدينية ويصقلها دوماً، لكي تكون كالسكين تقطع بسرعة، دونما أي تأخير، ومن ورائها «نية» لا ترجو إلا الله، ولا تنظر أو تميل لأحد غيره.. سبحانه!!





في سورة «سبأ» نقرأ هذه الآيات:

﴿ولقد آتينا داوود منا فضلاً، يا جبالُ أُوِّي معه، والطير، وأَلنّا له الحديد. أن اعمل سابغات وقدّر في السرد، واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير. ولسليان الريح غدوّها شهر ورواحها شهر، وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نُذِقه من عذاب السعير. يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب، وقدور راسيات، اعملوا آل داوود شكراً وقليل من عبادي الشكور. فلما قضينا عليه الموت ما دلّهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته، فلما خرَّ تبيّنت الجن أنْ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾.

نقرأها فتثير فينا حشداً من الصور والتأملات والأفكار.... إنها تبين لنا قمة الاندماج الحضاري الفاعل بين الانسان الكامل، والطبيعة، وقوى ما وراء الطبيعة، في حوارها الخلاق مع الله سبحانه أخذاً وعطاء.. إن طاقات

الكون كله تنسجم ههنا وتتناغم وتعمل بتوافق رائع في خدمة الانسان الذي يتوجه إلى الله في أصغر فاعلياته وأكبرها حامداً شاكراً عابداً للمنعم الذي منحه هذا كله، لكي يقف في موقفه الصحيح الذي أنشئت الحياة على الأرض من أجله: ﴿وما خلقتُ الجن والإنس إلاّ ليعبدون. ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴾.

والعبادة التي تطرحها هذه الآية العريضة ليست علاقة ثنائية سالبة بين الانسان والله، كما أنها ليست مجرد عطاء يشكر الإنسان به ما وهبه الله إياه في نفسه وفي العالم..

إنه حوار إيجابي، وجدل فعّال، وممارسة حضارية تسودها علائق الأخذ والعطاء..

إن هذه الآيات، التي هي أشبه بالسيمفونية التي تتناغم ألحانها وخفقاتها في وحدة صوتية باهرة، تجيء، لكي تعطينا صورة، من عشرات الصور التي يطرحها القرآن، عن طبيعة العلاقة بين الله والانسان، وعمّا تؤول اليه على نطاق النفس البشرية والعالم كله، حيث لا انفصال – في الإسلام – بين الانسان والعالم، ولا انقطاع بين عالمي الحضور والغياب، وحيث الارتباط الكلي الذي يضم الانسان إلى الطبيعة إلى ما ورائها، لكي تتحقق مشيئة الله في إعار الأرض والتوجه

المسؤول صوب خالق الكون والحياة والانسان، وتنفيذ مسؤولية الخلافة بوعي وأمانة..

إننا هنا نلتقي باثنين من عباد الله، المصطفين داوود وسلمان (ع) وقد سُخِّرت لها قوى الطبيعة الهائلة والطاقات الغيبية التي لا يحدّها جدار زماني أو حاجز مكاني، سُخِّرت جميعاً لكي تعمل تحت إمرة الانسان المؤمن المسؤول: الجبال، الطير، الحديد، الريح، القطر (النفط)، الجن.... في عدد مشار اليه من مساحات العمل الحضاري: صناعة وعمراناً وبناء وفنوناً..

وتثير عجبنا في ميدان هذا النشاط، تلك الإشارات الواضحة الى الحديد والوقود – اللذين قد تبين لنا في قرننا العشرين هذا – كم ها ضروريان وأساسيان للحضارة المعاصرة، ولكل حضارة تريد أن تعمر وتصنع وتبني وتتفنن وتطبّق..

ويثير عجبنا كذلك أن الله سبحانه لم يمنح الحديد لداوود فحسب، ولكنه يعلمه كيف يليّنه، فبدون هذا لن يكون ثمة فائدة لهذا الخام الخطير...

ولن ننسى ههنا الاشارة إلى «الريح» التي تروح في شهر وتغدو بمثله، وقد تبين لنا من خلال الدراسات الجغرافية

والطبيعية كم هي عظيمة خطيرة طاقة الربيح هذه في إعهار الأرض والحياة وازدهارها أو في دمارها وفنائها على السواء!!

وقبل هذا أو ذاك تبدأ كلهات الله بتلك اللمسات الوجدانية المؤثرة التي علمنا القرآن إياها، متمثلة بهذا النداء الذي يضع الانسان في قلب الكون ويقيم بين الطرفين علاقة حياة وعطف ومحبة، تتجاوب وتتناغم على عين الله: ﴿ يا جبال أوّبي معه ﴾!!

إن هذه الآيات - وغيرها كثير - تقدم لنا الرد الإلهي الحاسم على القائلين بأن الأديان الساوية ما جاءت إلا لكي تقود المؤمنين إلى مواقع الانعزال والسلب والفرار، وتنفخ في وعيهم أن الدنيا «قنطرة» وأنّ عليهم أنْ يعبروها ولا يعمروها. ومن ثم يغدو «الدين» نقيضاً «للتحضر»، ويقف الإيمان بمواجهة الخلق والابتكار والإبداع، وتتحول العلاقة بين الانسان وخالقه إلى مسألة سكونية «ستاتيكية»... تاركة للمذاهب الوضعية أن تأخذ زمام الحركة «الدايناميك» من أجل تطوير الحياة وترقيتها.

إن هذا التصوّر الخاطىء مرفوض بالكليّة، ومستبعد من أساسه، وأمامنا شاهد واحد من مئات الشواهد القرآنية على

هذا الرفض والاستبعاد لمواقف اتكالية مهزومة تسعى إلى أن تجعل الدين والتطور عدوين لدودين..

إننا هنا نلتقي بالإنسان المؤمن.. بل بالنبيّ، الذي يبلغ من فهمه لله وشكره لنعائه أن يمنحه خالقه هذا القدر الكبير من قوى الكون المذخورة، ويكشف له عن هذه الطاقات الطبيعية الهائلة، ويحشر لخدمته الريح والوقود والحديد والنار والماء... من أجل ماذا؟... من أجل أن يبني ويعمر ويتفنن ويبدع ويبتكر ويتقدم بالحياة صعداً على طريق الخلافة المسؤولة المؤمنة الواعية، التي لا ينحرف بها هذا النعيم الكبير، والقدرات المتاحة، عن التوجّه بالشكر للخلاق العظيم مصدر القوة والطاقة والغاعلية، وعن التزام الموقع الصحيح في العلاقة المطلوبة بين الله والإنسان.. وقليل هم أولئك الذين يظلون في مواقعهم هذه بأمانة كاملة.

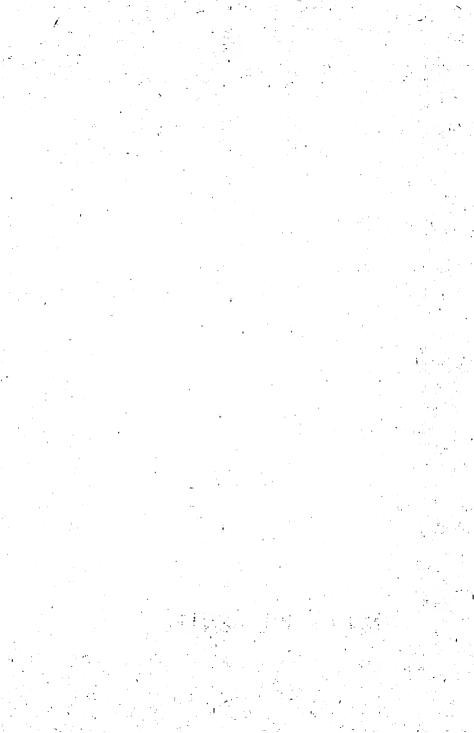
ولكن الآيات القرآنية ما تلبث في ختام الصورة أن تقدّم - بأسلوبها التصويري الأخّاذ - حقيقة أخرى لا تقل أهمية لأنها تفعل فعلها الإيجابي في موازنة الوضع البشري كيلا ينحرف صوب المروق والكفر والعصيان...

إن الموت بانتظار الجميع، أنبياء كانوا أم أناساً عاديين، عالقة كانوا أم أقزاماً، ملوكاً أم فقراء..

إنه نهاية المطاف لبني آدم جميعاً والسقطة التي لا بد منها للمرور إلى يوم الحساب.. وإن عليهم أن يتذكروا هذا، لأن الرجل النبي الذي سُخِّرت له طاقات الكون، ووضع النفط والحديد السائل بين يديه، وحشرت تحت قدميه النار والماء والرياح.. ينتهي به الأمر إلى الموت، لكي ما تلبث الديدان، أصغر الحشرات وأقذرها، أن تأكل منه...

ليس هذا فحسب، بل إن على الجان أيضاً، أولئك الذين على كون قدرة أكبر بكثير من قدرات بني آدم، بعد إذ تحرروا من شدّ المادة وعوائق التراب، هؤلاء أيضاً عليهم أن يلزموا حدودهم ومواقعهم، والا تطغيهم القدرات التي منحهم الله إياها، فهنالك الحد الذي يعجزون عن تجاوزه، والتحدي الذي لا يقدرون على التصدي له.. وغيب الله واسع شامل بعيد لا يحصى مجرياته ومقاديره إلا الله.. وسرعان ما يتبين للجنّ في ختام المشهد العظيم ﴿أَنْ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾!!

سورة الحديد.. يا لها من تسمية؟!



وفي سورة «إلحديد» نقرأ هذه الآية:

﴿لقد أرسلنا رسُلُنا بالبينّات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناسُ بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأسّ شديدٌ ومنافعُ للناس، وليعلمَ الله مَنْ يَنْصُرهُ ورُسُلَهُ بالغيب، إنّ الله قوي عزيز﴾.

سورة الحديد.. يا لها من تسمية!!

هل ثمة أكثر دلالة على ارتباط المسلم بالأرض ، من تسمية سورة كاملة باسم خام من أهم وأخطر خاماتها؟

هل ثمة أكثر إقناعاً لنزعة التحضر والإبداع والبناء التي جاء بها الاسلام لكي يجعلها جزءاً أساسياً من أخلاقيات الإيان وسلوكيته في قلب العالم، من هذه الآية التي تعرض خام الحديد كنعمة كبيرة، أنزلها الله لعباده.. وتعرض معها المسألة في طرفيها اللذين يتمخصان دوماً عن حديد: «البأس الشديد» متمثلاً باستخدام الحديد كأساس للتسلح والإعداد

العسكري، و «المنافع» التي يمكن أن يحظى بها الإنسان من هذه المادة الخام في كافة مجالات بنائه ونشاطه «السلمي»؟!

وهل ثمة حاجة للتأكيد على الأهمية المتزايدة للحديد برور الزمن في مسائل الحرب والسلم، وأنه غدا في عصرنا الراهن هذا وسيلة من أهم الوسائل في موازين القوى الدولية سلماً وحرباً؟!...

إن الدولة «المعاصرة» التي تملك خام الحديد تستطيع أن ترهب أعداءها بما يتيحه لها هذا الخام من مقدرة على التسلح الثقيل، وتستطيع - أيضاً - أن تخطو خطوات واسعة لكي تقف في مصاف الدول الصناعية العظمى التي يشكل الحديد العمود الفقري لصناعاتها وغناها.

إننا هنا بإزاء الحلقة، أو المستوى الثالث، من مستويات النهج القرآني في التعامل مع الطبيعة، تلك المستويات التي يعمل أولها في الإطار الفلسفي حيث التأمل العميق في الكون والعالم من أجل الوصول إلى الله، وإدراك قدرته الخلاقة، وإحاطت الشاملة، ويعمل ثانيها وثالثها في الإطار «العلمي»، إذ بينا يتجه أحدها إلى حث الإنسان المسلم على دراسة الكون والعالم للكشف عن القوانين التي تحكمها ومحاولة الإحاطة بأكبر قدر منها، فيا يعرف اليوم بالعلوم

النظرية أو «المحضة»، يتجه آخرها إلى تحريك الإنسان المسلم باتجاه استخدام هذه المعرفة العلمية للقوانين الطبيعية. استخداماً تطبيقياً في واقع حياته، من أجل تغيير هذا الواقع صوب الأحسن والأرقى..

وليس هذا الموقف من خام «الحديد»، بأبعاده المختلفة، سوى مثل من الأمثال العديدة المنبثة في القرآن الكريم حول هذه الحلقة الثالثة من حلقات التعامل مع الطبيعة والعالم..

إن كل «موقف» قرآني، يشكل وحدة عضوية لا تنفصم عراها، يمكن أن نحظى بأبعادها، وصيغتها النهائية، بمجرد أن نجمع الى بعض كل الآيات التي تغذّي هذا الموقف وتشكل مادته الحية.. في الاقتصاد.. في الاجتاع.. في السياسة.. في الادارة.. في النفس.. في العلاقات الدولية.. في استراتيجية الحرب.. في العقائد.. في المعاملات.. في الآداب.. الى آخره.. في كل قطاع من هذه القطاعات نلتقي بعدد من المواقف المتكاملة المحبوكة، التي تصنعها وتصورها، وتمنحها شكلها النهائي، مجموعة من الآيات المنبثة، لأكثر من سبب موضوعي أو جمالي، في ثنايا القرآن.

والآن، ونحن نتكلم عن «الحديد» نلتقي بسورة كاملة تسمى بهذا الاسم، ونتذكر - في الوقت نفسه - الآيات

السابقة من سورة «سبأ » التي تذكر نعمة الله على نبيه وعبده داوود بتسييل الحديد!! وبتعليمه كيف يسيّل الحديد!! وهي بصدد الحديث عن البناء والإعار والتصنيع.. ونتذكر أيضاً «ذا القرنين» وهو ينادي الجاعة المضطهدة:

﴿آتونِي زُبَرَ الحديد، حتى إذا ساوى بين الصدفين، قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطرا. فما اسطاعوا أن يَظْهروه، وما استطاعوا له نقبا﴾!!

وتعرض آية أخرى نفسها لإتمام الصورة، تلك التي تنادي الجهاعة الإسلامية:

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ومن رباط الخيل، ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم. ﴾، لكي ما يلبث الانسان المسلم، والجماعة المسلمة،أن يعتمدا الحديد، هذا الخام الخطير، المذكور في عدد من المواضع، والتي سميت إحدى السور باسمه، مادة أساسية لإعداد «القوة» وإرهاب الأعداء في عالم يضيع فيه ويداس من لا يملك القدرة على «إرهاب» اعدائه!!

ثم ، ألا يلفت أنظارنا هذا التداخل العميق والارتباط الصميم، في آية الحديد، بين إرسال الرسل وإنزال الكتب معهم، وإقامة الموازين الدقيقة لنشر العدل بين

الناس، وبين إنزال الحديد الذي يحمل في طياته «البأس» و «المنفعة»، ثم التأكيد على أن هذا كله إنما يجيء لكي يعلم الله ﴿من ينصره ورسله بالغيب﴾ و ﴿ان الله قوي عزيز ﴾؟.

إن هذا الموقف المتداخل يعود بنا - ثانية - إلى ما سبق وأن ذكرناه في أول هذه الملاحظة من أن الإسلام جاء لكي يشد الإنسان الى الأرض، ويدفعه الى التنقيب فيها من أجل إعارها وحماية هذا العمران.. والى أن المسلم لن تحميه وتنصره إلا يده المؤمنة التي تعرف كيف تبحث عن الحديد وتصوغه من أجل الحماية والنصر.. وأنه بمجرد أن يتخلى عن موقفه الفعّال هذا ويختار مواقع الفرار والاتكال والانتظار السالب لمعونة الله، فإنه يتناقض مع نفسه وعقيدته، وإنه سينهزم لا محال، ما دام قد أشاح عن هذه الحقائق القرآنية التي تكاد تصرخ بأعلى نبرة:

إنه بدون الاعتاد الواعي المسؤول البصير بمصادر القوة والبأس فلن يكون هناك «نصر» أو «حماية» للموازين العادلة التي جاء الأنبياء (ع) بكتبهم وتعاليمهم لتنفيذها في الأرض.. حتى ولو حبس المؤمنون أنفسهم في المساجد، السنين الطوال، يبكون ويتضرعون!!





ألم يسأل أحدكم نفسه، ولو مرة واحدة على الأقل، هذا السؤال الملح:

أين الأدباء الكبار في عطائنا الاسلامي المعاصر؟... لماذا لم يبرز شاعر كبير أو روائي كبير أو مسرحي أو ناقد كبير؟.... كبير على الستويين القومي والعالمي على السواء؟... لماذا برز هؤلاء عبر كل المذاهب والاتجاهات، دينية ووضعية، ولم يبرز عندنا؟..

إن أي واحد منا يستطيع إذا شاء، أن يعثر على عمل فني أو أدبي كبير يعبر عن الموقف اليهودي، أو المسيحي، أو القومي، أو الوطني، أو اللوني، أو الماركسي.. أعني عملاً كبيراً بعنى الكلمة، شكلاً ومضموناً... في الرواية... في القصيدة... في المسرحية... في النقد... وفي أي فن يعتمد الكلمة المعبرة والرؤية البشريتين إلى الآخرين..

من منا لم يسمع بشاعِر المقاومة الفرنسي «أراغون»، وبالقـــــــــــاص الروسي «غوركي»، وبالروائي الشيوعي

«شولوخوف»، أو غريمه الليبرالي «باسترناك»، أو بشاعر الماركسية «مايكوفسكي»؟..

ومن منا لم يسمع برواية «كونستانتان جيوروجيو» (الساعة الخامسة والعشرون) ذات النفس اليهودي الخفي؟ أو بقصة « هنري سيرويا » (الحقيقة ولدت في المنفى) ذات الإيحاء المسيحي الشاعري العميق؟... وغير هؤلاء الذين لم نورد أسماءهم إلا على سبيل المثال ، عشرات بل مئات . .

لايقل أحدكم إن هذا بسبب هزائمنا المستمرة في العقود الأخيرة، وبسبب الضغوط الثقافية والسياسية الهائلة التي لا تطاق، والتي سلطت بكل أسلوب لسحق أي نشاط إسلامي وقتله في المهد، لأن الأدباء الكبار يبرزون دائماً من قلب الهزائم.. وعلى وهج النار المحصة تلتمع قرائحهم، كالنجوم الوضاءة في أعماق الليل، لكي تبث ضوءها الأزرق الجميل على الكائنات، وتمنح إبداعها وروعتها لكل راء.

ولا يقل أحدكم إن ذلك يكمن في موقف الإسلام نفسه... فمن العبث وقد انتصر الاسلام بقوة «الكلمة» القرآنية المعجزة في قدراتها التعبيرية، وفي جماليتها الساحرة شكلاً ومضموناً أن نناقش رأياً سخيفاً كهذا!!

وباستطاعتنا جميعاً بعد تهافت هاتين الحجتين أن نبحث عن الأسباب.

أكبر هذه الأسباب يكمن في مثقفينا أنفسهم، في تكوينهم الفكري وتجربتهم النفسية، وفي قوائم الكتب التي يطالعونها..

إن معظم هؤلاء الذين نسميهم - تجاوزاً - بالمثقفين لا يقرأون، منذ لحظة تفتح وعيهم على القراءة، واتصالهم الوثيق الدائم بالكتاب، إلا الكتب التراثية.... ولا يتوسعون، وينفقون ساعاتهم الغالية إلا في نطاق معطيات القرون الأولى..

فإذا ما قرأوا أدباً، فإنهم لا يقرأون إلا للجاحظ، أو ابن المقفع، أو ابن المقفع، أو الأصفهاني، أو ابن الجوزي..

وتراهم غادين رائعين إلى الكازينوات والمكتبات والنوادي، وهم يحملون، محنيّي الظهور، منكسري الأنفس، مجلدات التراث المغبرة، الصفراء، وتلوك ألسنتهم باعتزاز كتاب «الحيوان» أو «صفة الصفوة» أو «البيان والتبيين»!!

إنهم يعيشون في عصر آخر غير عصرنا..

لقد أوهموهم أن الفكر الحقيقي لا يخرج عن نطاق تراثنا

أبداً، وأن الذي يريد أن يتثقف - محق - فإن عليه أن يتجاوز معطيات الإنتاج المعاصر، وألا يشغل نفسه به لحظة واحدة: فكراً كان، أم أدباً، أم فلسفة، أم فناً..

والحق إننا نستطيع أن نتلمس في نفوس هؤلاء إحساساً مزدوجاً ما كان لهم أن يقبلوه لحظة واحدة...

إنهم من جهة يرون أية مطالعة في معطيات الفكر والأدب الحديث خطيئة ودنساً لا ينسجهان وحسهم الديني ونظرتهم الروحية إلى الحياة..

وهم من جهة أخرى، يرون المطالعة في كتب التراث نوعاً من التطهر والتقوى يتقربون بها إلى الله.... فها دمت أرهق نفسي في مطالعة كتاب - يقول أحدهم - فلهاذا أقرأ كتاباً يبعدني عن الله؟ ولماذا لا أجعل عملية المطالعة نفسها جزءاً من عبادتي وتقواي؟....

ثم ماذا تكون النتيجة؟ إنها هذا الفراغ المحزن الذي نراه في عطائنا الأدبي المعاصر..

إن هؤلاء المثقفين، وقد عاشوا عصراً غير عصرهم وتعاملوا مع كلمات وتعابير كانت مناسبة لبيئتها، مستجيبة لتطلباتها التعبيرية، لكنها غدت غير مناسبة لبيئتنا نحن مستعصية على متطلباتنا وبداهاتنا التعبيرية... سرعان ما

يجدون أنفسهم بعد رحلة سنين طويلة في ميدان العلوم النقلية وكتب التراث، غير قادرين بالمرة على أن يكتبوا حرفاً واحداً، أو يبدعوا أثراً أدبياً باقياً.

وكل ما يستطيعه أي واحد من هؤلاء ، كل ما جناه من سني الكد والسهر والعناء هو أن يبدي إعجابه المتزايد بديباجة ابن المقفع ، وجزالة الجاحظ ، ونقدات ابن الجوزى!!

وهذا التشبث «المتحفي» بالتراث، والانقطاع الحزن عن تيار الفكر المعاصر وصخبه واندفاعه وحيويته وتمخضه الدائم، لا يسلب مثقفينا هؤلاء القدرة على التعبير فحسب، ويحررهم من أداة التواصل الإبداعي مع الناس، إنما – وهذا هو الأخطر – ينفي أية تجربة وجدانية أصيلة في نفوسهم، ويجمد أيّ تفجر إبداعي في تجربتهم الذاتية، ويصدهم بالكلية عن النظر إلى أعاقهم هم حيث يكمن الموقف الحقيقي الذي يصنع الآداب ويبعث الفنون.

ومن ثمّ، فهم يخرجون على الناس، بعد رحلتهم الخارجية «الساكنة» مع التراث... وقد انفصمت شخصيتهم، فانهال غبار القديم على ذواتهم الباطنية الأصيلة، ولم يعودوا يرون ويتعاملون إلاّ مع شخصيتهم الثانية المتحفية، المعلقة دوماً على

رفوف المكتبات القديمة والمتأبطة أبداً كتب أناس ماتوا منذ مئات السنين ولم تعد معطياتهم تبعث رجفة الإبداع والتدفق في نفوسنا لأنهم عاشوا في عصر غير عصرنا، وكتبوا بلغة غير لغتنا.. •

باختصار... إن مثقفينا لم يستكملوا مقومات التجربة الإبداعية الذاتية التي تتفجر عن الرؤية الإسلامية، قصة، أو رواية، أو مسرحية، أو قصيدة، أو عملاً نقدياً.... التجربة التي كبتها التحرك الطويل في الدهاليز المظلمة، وحنطتها الروح المتحفية الساكنة، وفصمها عن الواقع المتغير ذلك التشبث بالعصور القديمة والذي يقرب بأصحابه حيناً من الوثنية الفكرية والعبودية التي لا تعرف التحرر من أسر التراث..

والبديل الوحيد الذي نسد به بعض مساحات فراغنا الأدبي المعاصر، معروف.... أن يتحرر مثقفونا من عبوديتهم للتراث، وأن يستأصلوا من نفوسهم عقدة الخطيئة إزاء معطيات الأدب العالمي الحديث.... أن يعيشوا عصرهم ويعتمدوا لغتهم... أن يعودوا إلى ذواتهم لكي ينظروا فيها ويعمقوا وعيها الباطني وتجربتها الابداعية التي تكمن وراء أي عمل أدبي أو فني كبير وقد علمنا رسولنا عليه السلام «ان الحكمة ضالة المؤمن أينا وجدها التقطها».

ولن يحمل هذا الكلام أي معنى لدعوة ترفض التراث بالكلية لأن معنى هذا التنازل عن شخصيتنا التي تميزنا عن الأمم والتنكر لماضينا الذي نستمد منه القدرة على البقاء... ولن يقول بهذا إلا خائن أو مهووس، والذي نطرحه شيء غير هذا بالمرة...

ويبقى البديل الوحيد هو أن نعيش عصرنا من خلال رؤيتنا الاسلامية.. وحدها.. وألا يستعبدنا التراث.

جزئياته وتفاصيله جميعا.

أما كان تاريخنا العقائدي في غنى عن (تظاهرات) المعتزلة الفكرية وتشبثهم المبالغ فيه بالعقل واضطهادهم المذهبي لكل معارض، وهم يقرأون في ما يزيد عن سبعمائة وخمسين موضعاً من القرآن دعوة لإعال الفكر البشري في كل صغيرة وكبيرة، وفي تحريك العقل، تلك الهبة الإلهية المعجزة لحل المسائل الأساسية في حياة الانسان وفهم الأبعاد الشاملة للمعطيات القرآنية.. لكنهم يقرأون في الوقت نفسه، ان العقل وحده ليس بقادر على انتشال الانسان من معضلاته الكونية وانه لو كان قادرا فعلاً على تحقيق هذه المهمة، لم تكن هناك حاجة اساساً لمجيء الأديان وإنزال القرآن.. ويلتقون في عشرات المواضع القرآنية بحقيقة أن وراء هذا العالم، الذي يمكن للعقل أن يتعامل معه، عالم غيبي شامل بعيد، خفي محيط، يندّ عن قدرات الانسان العقلية والحسية، ولكنه حق واقع كما أن عالم الطبيعة الملموس حق واقع، وان الايمان به والتسليم بوجوده يجيء بمثابة حجر الزاوية لكل ايمان حقيقي كامل؟

فاذا كان كتاب الله يقدّم لنا المسألة بطرفيها، فلماذانجنح صوب هذا الاتجاه أو ذاك، ونغادر الموقع الوسطيّ الشامل، المتوازن، الذي منحنا اياه القرآن ان كنا محبين فعلاً لله، لا

في مؤسساتنا الجامعية، في كليات الآداب والمعارف الانسانية في بلادنا، يركب الاكاديميون السطحيون مطية جديدة تدعى «الروح العلمية».

إنهم غير قادرين على أن يكتبوا صفحة واحدة، أو يبدعوا بحثاً أصيلاً... ولكنهم يغطّون عجزهم هذا بادعائهم «الروح العلمية» واتهام الآخرين من الذين يكتبون ويبدعون بتجاوزهم هذه الروح!!

إنهم يجهدون الأشهر الطوال بحثاً عن عدد من النصوص في مسألة معينة ثم يقومون بتنسيقها وتنضيدها وفرشها على صفحات أبحاثهم، دونما أية قدرة على الربط، أو رؤية شمولية تجمع المسألة من أطرافها، أو أسلوب متميز على أقل تقدير.. لقد تمخض الجبل فولد فأراً.. ولكنهم يقولون : إن هذا الفأر الذي لا تكاد تراه هو البحث العلمي الأصيل، لأنه يتميز بالكثافة والتركيز والجودة وطول الذيل، وإنه ليس المهم أن نكتب المؤلفات الطوال وندبج الصفحات المتلاحقة، ولكن

والعبث واللامعقول..

إننا نعيش فعلاً عصر الغرابة والعبث واللامعقول..

فبينا يسيطر الإنسان المعاصر على الطبيعة هذه السيطرة الفذّة، المعجزة.. وبينا يتمكن من عالمه المادي هذا التمكن العظيم.. نجده في عالم الروح.. في ميدان القيم والعلاقات.. في ساحات الفكر والفن.. في أمداء الرؤى والتصورات والاحلام.. في طرائق المعيشة والتصرف والسلوك.. يفقد اكثر فأكثر السيطرة على نفسه، ويضيع...

من هذا التناقض الذي حدثنا عنه «ألكسيس كاريل» في كتابه القيم «الإنسان ذلك المجهول»، فأطال الحديث... من هذه العلاقة العكسية بين تمكن الإنسان من العالم وفقدانه نفسه... من هذا التضاد بين القدرة على تسخير الطبيعة وبين عدم القدرة على تحقيق الحياة السعيدة، العادلة، الجميلة... ينشأ أعمق حزن عرفه تاريخ الإنسان..

ولكنه حزن لا يريد أصحابه أن يعترفوا به، وهم من أجل أن يغطوا عليه يضطرون الى الصراخ.. الى اتخاذ مواقف غاية في الغرابة والشذوذ واللامعقولية.. إلى ان يمثلوا على أنفسهم وعلى الآخرين.. أن يلبسوا الاقنعة ويختاروا بأنفسهم أن يتحولوا الى مهرجين وبهلوانات، تتجمع الى

من قيم الإسلام وتعاليمه، وهدم كل ما يرون به من معطيات تاريخه الطويل، وتفكيك كل ما يعرض لهم من منجزات وعارات حضارية أبدعها الأجداد، وتحويلها الى حصى وتراب، نكثها على رؤوس أصحابها..

ماذا يقولون وهم يمارسون هذا التخريب كله؟ إنهم يعتمدون «الروح العلمية».. وماذا عن مقدرتهم في فهم أبعاد العلم، وتقدير مسؤولياته الصعبة وإدراك روحه الجادة، البناءة؟ لا شيء..

أدوات يسخرها الكبار، للهدم والتخريب.. ومن أجل أن يجعلوها أكثر قدرة على العمل يركبونها مطية سريعة العدو في زمننا هذا، يسمونها زيفاً «الروح العلمية».. وإذا كان احبار بني إسرائيل، يومها، قد حملوا أسفاراً لم يعملوا بها، ولا فقهوا ما في سطورها.. فإن الأمر قد إنعكس الآن وأصبح احبار الشهادات يُحملون، لا يحملون.. والأمر سواء!!





ما أشد حاجة المسلم المعاصر القلق المتأرجح بين الانفصال عن المجتمع الجاهلي الذي يحيا في قلبه وبين الاندماج فيه، ما أشد حاجته الى من يهديه سواء السبيل ويحدّد له معالم الطريق.. ذلك ان الانفصال الكلى أمرٌ مستحيل لأنه فوق طاقة انسان يحيا في صميم مجتمعات القرن العشرين بكل ما تحويه وتتضمنه من تعقيد وتشابك في العلاقات، ومن اتساع في خطوط وامداء التعامل الاجتاعي بالنسبة لكل المنتمين اليه... واما الاندماج الكلي فهو أمرٌ مستحيل كذلك لأنه سيفقد الانسان المسلم تميزه كمسلم، وسيصهر قيمه ومعتقداته ومثله في أتون تجربة اجتاعية لا تعرف شيئاً عن القيم والمثل، ولا تؤمن يوما بفكرة تعلو على مستوى الوقائع والمصالح واليوميات، ولا بعقيدة ترفض ان تغدو العلاقات الاجتاعية علاقات منفعة متبادلة وتدافع قتال على التكاثر.. باختصار ان الاندماج الكامل سيجرد المسلم من إسلاميته وسيحيله انسانا عاديا تافها حتى لو صام الدهر كله وصلى في اليوم

خمسين مرة!!

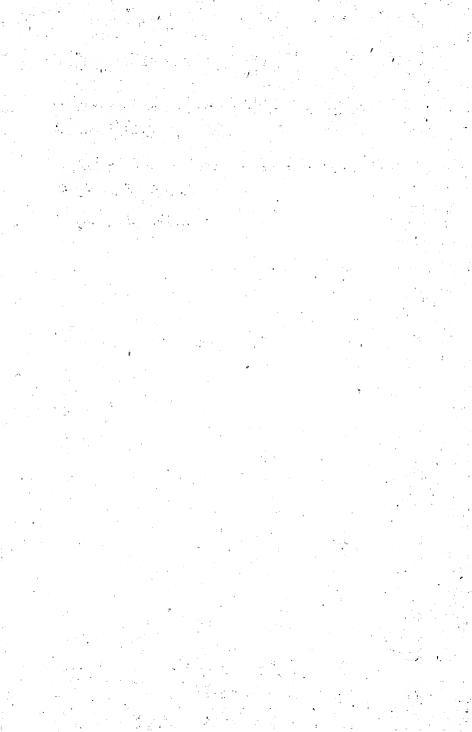
إن الانفصال الكلي يقود المسلم، شاء أم أبى، الى ظاهرة من ظواهر الترهبن والانسلاخ السالب عن مجرى الحياة والتطور، أو الى تجربة من تجارب اللاانتاء التي عرفها الغربيون خلال العقود الأخيرة، وهي جميعا لا يمكن الآ ان تشل المسلم عن العمل، وتحرم الحياة الواقعية من ان ترفدها قيم الاسلام وعقائدياته واخلاقياته، وتتجه ببعض مساحاتها على الأقل صوب مطالب الاسلام وحلوله المعجزة..

والاندماج الكلي يقود المسلم الى ظاهرة من ظواهر الفناء والذوبان في إطار التجربة الاجتاعية بكل انحرافاتها وتناقضاتها ومآسيها،أو الى تجربة من تجارب الانتاء (الشيئي) الى عمل ما من أعهال هذا المجتمع الوظيفية اليومية، أو الى هدف ما من اهدافه القريبة الميسورة.. ومن ثم كان هذا التأرجح وهذا القلق اللذان يعاني منها المسلم المعاصر واللذان يجب أن نعترف بثقلها وضغطها علينا جميعا كي نكون أكثر واقعية واشد إيجابية، فنسهم جميعا في العمل الجاد المخلص والتنقيب في ثنايا فكرنا عقيدتنا وتشريعاتنا وتاريخنا وحضارتنا علنا نصل الى الحل الوسط الذي يحملنا كمسلمين حقيقيين الى قلب كل مجتمع لكي نؤثر في صميم بنائه

وتركيبه، ونهيئه لتقبل القيادة العادلة المستقيمة التي وعد الله بها عباده المخلصين يوم أن قال:

﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض، ونجعلهم أُمَّة ونجعلهم الوارثين﴾...

وصدق الله العظيم...





إن عنصر الإبداع الفني في معطيات الصوفية يكمن في المهم لا يصوغون عبارات يستمدون مضامينها من المرقي والمسموع والملموس في عالمهم الخارجي.. ولا يشكلون صوراً فنية سداها حركة العالم من حولهم ولحمتها تمخضه الدائم.. ولكنهم يصوغون ويشكلون حبرهم والوانهم من دمهم الذي يجيش في أفئدتهم ومن ديمومتهم وهي تجول في عالمهم الباطني ألف جولة في اللحظة الواحدة وتتمخض عن ألف شكل ولون!!

إن تجربتهم العنيفة الباهرة التي تحرقهم تتألق في وجودهم كالنار.. من هذه النار، من جراتها تنطلق كلهاتهم العميقة، المؤثرة، العجيبة، الجامعة المانعة كوهيج الجمر وألق النار!!

إن سائر الفنانيين وهم يبدعون، يعانون بشكل أو بآخر ثنائية وازدواجاً بين إبداعهم وبين تجربتهم الذاتية ومن ثم يتهزقون، ويصل التمزق ببعضهم احياناً حد الانفصام

والانشطار والجنون... ان عالم إبداعهم وعطائهم، بعيد عن متناول حياتهم اليوميه وتجربتهم المعاشه.. وهم يتمنون التوحد بين عطائهم في عالم الفن وسلوكهم في ميدان الحياة... ولكنهم - لعجزهم أو خوفهم أو قصورهم - لا يخطون الخطوة الحاسمة الاخيرة لكي يحصلوا على نعيم هذا التوحد والتكامل والانسجام..

لكن عطاء الصوفية يعلمنا، ونحن ننهل من بحره الصافي العميق، شيئاً آخر.. إن هذه الفئة من الفنانين لا تبدأ بالعطاء إلا بعد أن تتحول حياة كل منهم – عبر صراع طويل وشاق – الى نغمة تتفجر ألحاناً علوية، وريشة تنقش على صفحة الحياة أبدع الرسوم، وقلم يعبر ببساطة وعفوية عن أدق التجارب وأصعب اللحظات وأخطر الرؤى..

ومن ثم يجيء هذا التوحد والتكامل والانسجام بين حياتهم وعطائهم.. بين تجربتهم الذاتية وإبداعهم الجميل، بين أقوالهم وكلهاتهم.. وإذا كان هنالك جنون في عالم الفن الصوفي فهو جنون النشوة والاندماج والفرح العميق، لا جنون الكآبة والتمزق والحزن.. وشتّان.. ولينظر أي منكم قصائد جلال الدين الرومي في « المثنوي» لكي يتأكد من صدق هذا الذي نقول!!

إن عدداً من نقاد الفن وفلاسفة الجال يبينون لنا أن قيمة العمل الفني تكمن في صياغته، في اسلوبه وتكنيكه.. وهذا حق.. ولكن يجب ان نضيف اليه أن هذه القيمة تكمن احياناً اخرى في «صدق» الفنان و «توحّد» عطائه مع تجربته الذاتية... فها دام هذا الصدق النقي الحمّل بالاحساس العميق والرؤية المركزة المترعة، يحدث فينا هزة الجال والجلال والانفعال والدهشة والاعجاب والاندماج فانه يرتقي بمبدعه الى قمة الإبداع الفني، مها كان اسلوب «صياغته» متواضعاً بسيطاً.. فكثيراً ما جاءت الاشكال الفخمه والصياغات المعنة في تعقيدها وزخرفتها غطاءً يخفي وراءه وجداناً خاوياً وإحساساً رتيباً وتجربة ميتة لا تقدر على حمل صاحبها الى تخوم الحياة.. والتفجر.. والإبداع!!



القمر.. من الجانب المظلم!!



إن أزمة معظم متخصصي التاريخ في جامعاتنا انهم قرأوا كثيراً عن التاريخ الاسلامي بانحرافاته.. بمساوئه، بتجاربه الزاخرة بالسراء والضرّاء.. بمساحاته التي تناوبت عليها، الاضواء والظلال.. ببقعه السوداء والبيضاء.. ولكنهم لم يقرأوا شيئاً ذا بال عن الاسلام نفسه.. الاسلام كدين وحركة ومنهج وموقف ورؤية وتخطيط.. لم يقرأوا ما يوازي دراساتهم عن الواقع التاريخي وبالتالي ما يمنحهم موقفاً متوازياً، ويمكنهم من ان يكونوا أكثر موضوعية في اصدار احكامهم على الاسلام ومعطياته في شتى الجالات..

بالأحرى، إن أكاديمينا عرفوا الاسلام من خلال واقعه التاريخي لا منطلقاته النظرية، فكان رفضهم وتجريهم ونقدهم المتحيز، وموقفهم السيء المحزن، تجاه كل ما هو (إسلامي).

ولم يكن الواقع التاريخي لعقيدة او نظرية ما، في يوم من الأيام،هو المقياس الأول والأخير للحكم على قوة تلك العقيدة أو النظرية وتماسكها أو ضعفها وتهافتها... اذ كثيراً ما يحدث

وأن تنحرف الخطوط الفكرية عن مساراتها المرسومة لدى تنفيذها في عالم الواقع، وهو امر يعود بأسبابه الحقيقيه الى الانسان الفرد والى الجهاعة البشرية، أي الى مؤثرات النفس والمجتمع، بما تحمله من تعقيد وتشابك ليس بمقدور أحد أن ينفي ثقلها في ميدان التنفيذ التجريبي للمبادىء والمفاهيم والافكار.. وتكمن قيمة الفكرة، وفق هذه المعادلة الصعبة، بمقدار ما تملكه من إمكانية التنفيذ بأكبر قدر ممكن من الأمانة والاستقامة.. وليس من شك في أن الاسلام يقف في المقدمة في هذا المضار، ويظل، رغم الظروف التاريخيه المعقدة في كثير من الاحيان، يملك قدرته على التعامل المتجانس مع الواقع.

ومهها يكن من أمر فإن هؤلاء المتخصصين لو اقتصروا في دراساتهم على حدود التجربه التاريخيه في الاسلام لما كان هناك خطأ يخشى من أحكامهم، رغم أنهم، لسبب او لآخر، يقفون طويلاً عند النقاط السوداء في تاريخنا، ويتشبثون عواقع الظلال العميقة، ويتمسكون بأذيال كل واقعة أو حادثة فيها رائحة إدانة وتجريم لتاريخ الجهاعات الاسلامية.

لكن هؤلاء لا يقفون عند هذا الحد بل يتجاوزونه الى إصدار أحكامهم وتقيياتهم للاسلام نفسه، باعتباره دينا

وحركة ومنهجاً وموقفاً ورؤية وتخطيطاً.. فهم من مناظيرهم المعتمة، المليئة بالدخان، يسعون - عبر عملية تعميم خاطئة من اسامها - للحكم على الاسلام، دون أن يكونوا قد قرأوا في معطياته الاساسية، أو في الأبحاث والدراسات العديدة، القديمة والحديثة، التي دارت حوله، شيئا يذكر.

ويقيناً أن بعض هؤلاء المتخصصين في التاريخ الاسلامي، من حملة الشهادات العليا، لم يكونوا قد قرأوا كتاب الله يوماً من ألفه الى يائه، بل لم يكونوا قد قرأوا، وبشكل مباشر يقوم على التعمق الذكي والنظرة الشمولية، شيئاً يذكر من سوره ومقاطعه وآياته... والدليل هو أن أحدهم ما اورد يوماً آية أو مقطعاً، في القليل النادر، إلا تلاها محرّفة، مبتورة، مليئة بالأخطاء... وما يقال عن كتاب الله يمكن أن يقال عن سنة رسوله عليه السلام.

أما الدراسات الحديثة، الجادة، عن الاسلام في شتى مجاليه، فإنهم لم يقرأوها أو يروا عليها ألبتة، بل يستطيع المرء أن يجزم أنهم ما سمعوا بمعظمها..

فكيف لنا أن نتوقع من هؤلاء المؤرخين مبتوري الثقافة، أن يتخذوا موقفاً موضوعياً بناً عن الاسلام والفكر الاسلامي؟ وهل كان بمقدور أي متخصص في علوم الحياة يوماً - على سبيل المثال - أن يتحدث بقدر كاف من الموضوعية عن تاريخ الأدب الاندلسي أو العوامل المعقدة المتشابكة لسقوط بعداد؟!



يكن تعريف « الإسلام »، باختصار وتركيز بالغين، بأنه:

إعادة لصياغة الانسان ووضعه في مكانه الصحيح من الكون.... الإنسان الذي تعرضه حركة تاريخه - الذاتي، والخارجي - الى أن يخرج مرات ومرات عن إطار فطرته الأصيلة المعجونة بإعجاز من الروح، والمادة، والفكر، والدم، والأعصاب، والوجدان، والعواطف، والشهوات، وتبعده بالتالي عن مساره المرسوم في العالم... ولا يكون نتيجة هذا الخروج والإبعاد، إلا تمزقاً في الذات البشرية وانحرافاً في طرائق تعاملها مع العالم، ومن ثم شقاءً وتعاسة وانهياراً..

ويجيء قادة الفكر الوضعي لكي يصنفوا المادىء ويرسموا الشرائع ليتعامل معها الانسان المنكود، معتقدين أن طاقاتهم النسبية المحدودة ستمكنهم من رؤية شاملة موضوعية لفطرة كل إنسان، ولدور كل آدمي على سطح الأرض..

ومن ثم تجيء محاولاتهم ضرباً في التنيه، وإبحاراً في الظلمات دون شراع واحد ولا بصيص من نور... فيزداد الانسان نأياً

عن توازنه الفطري الأصيل، ومروقاً عن دربه المستقيم في قلب العالم....

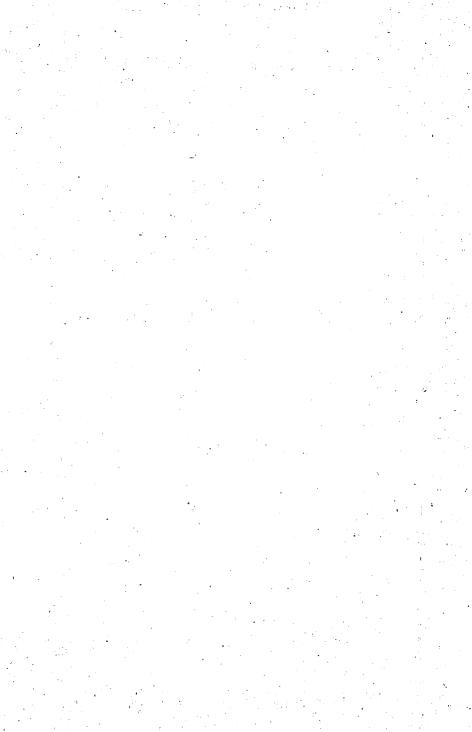
وهذا النأي أو المروق يجمد طاقات الانسان، ويطمس على بصيرته، ويغطي قلبه وإحساسه برين من التراب والغبار، ويشل فاعليته، فلا يقدر بعد على أداء دوره «كاملاً» على مسرح الحياة الدنيا، فيفقد بذلك فرصته الكبرى، ويكتب على نفسه التعاسة في الأرض والساء!!

أما «الإسلام»، فإنه تخطيط العليّ القدير العليم لإعادة الانسان إلى فطرته التي فطره الله عليها، وبعثه في طريقه المرسوم لكي يحيا تجربته البشرية كاملة، ويعطي كل ما عنده، ويعبّر عن شتى طاقاته من أجل أن يسهم إسهاماً فاعلاً في «إعهار» الأرض الذي أنيط به كخليفة مسؤول أمام الله..

ومهما سعى العبيد وحاولوا، فلن يزيدوا الانسان إلا تخبطاً وضياعاً، ولن يحكموا على طاقاته وقدراته إلا بالتشتت والاضمحلال..

ولن يكون الخلاص إلا بإشارة من الذي صنع الانسان نفسه، ومنحه فرصة الاختيار والعمل في كون شاسع واسع يضيع فيه ويتحطم كل من لم يعرف موقعه المحدد على الخارطة الأبدية، وطريقه المرسوم في بنيان العالم!!....

الحرب.. والإنسان



إن الذي يطلع على بعض صور الحرب والصراع في الغرب والشرق كتلك التي نجدها مشخصة واضحة في رواية مركريت ميتشل (ذهب مع الريح) التي تتناول فترة الحربالاهلية الامريكية في النصف الثاني من القرن الماضي، أو في رواية تولستوي (الحرب والسلام) الستي تتناول عصر نابليون بونابارت، أو في رواية ميخائيل شولوخوف (الدون الهادى) التي تتناول فترة المقاومة القوزاقية للجيش الأحر... الذي يطلع على أعال تصويرية كهذه، وغيرها كثير، ويقارنه بأساليب الحرب والقتال في تاريخنا الاسلامي، وبخاصة سني العقيدة والالتزام، يجد شيئا عجبا يثير الدهشة والاستغراب...

إن ثمة فرقاً شاسعا بين اناس وجماعات وامم تقتتل باسم المصالح والعصبيات والاهداف القريبة الزائلة، وبين أمة تقاتل باسم الله سعياً وراء كل ما هو انساني أبدي بعيدعن المصالح، والعصبيات والقيم الزائلة.. فرقا شاسعاً بين جماعات تقتل وتذبح وتفتك وتدمر مستخدمة أي سلاح تصل اليه

أيديها، متذرعة بأية وسيلة تسندها في سحق غريمها، سالكة أي درب يصلها الى أهدافها، وبين أمة لا تمارس القتال الا بالسلاح الشريف والوسيلة الانسانية وعلى درب مستقيم لا تنحرف فيه يد كي تحمل سلاحا لا يقره الانسان ، أو تستخدم أسلوبا تربأ عنه حتى عوالم الحشرات والديدان.

إن مناظر القتل والدمار التي يعرضها علينا تولستوي وميتشل وشولوخوف وغيرهم تضعنا وجها لوجه امام ابتذال الحياة الإنسانية ورخص الدم البشري ومجانية العلاقة بين القوى المتصارعة على ظهر البسيطة... وتدفعنا دفعا الى زاوية الاحتقار والتشاؤم والالتصاق بالعصبيات المصلحية أو الطبقية أو العنصرية، علها تحمي القطعان الهاربة من الجزارين العتاة الغلاظ، أو تمنحها سلاحا أحدَّ قطعاً وأشدَّ فتكاً...

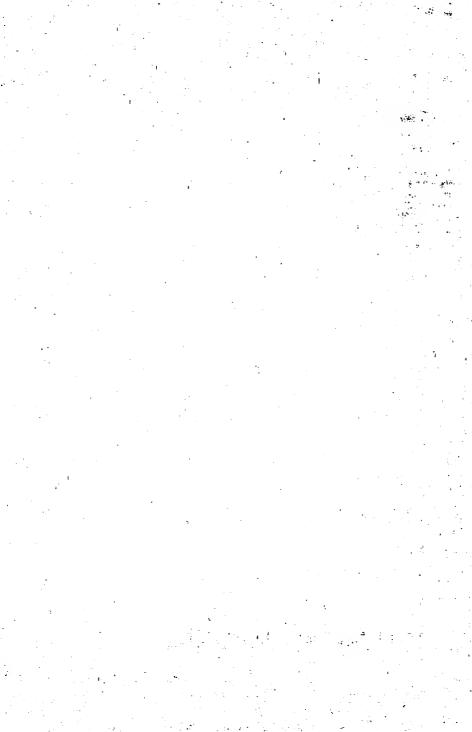
لكن الذي يعزّي الانسان ويهبه الثقة والأمل واليقين ان في تاريخه صوراً واقعية أخرى شهدتها ميادين الصراع وساحات الحرب مرات ومرات، ظل فيها ابن آدم إنسانا حتى وهو يقاتل ويحارب ويصارع، دون أن يضطره القتال والحرب والصراع الى أن ينقلب على آدميته ويستعير من عوالم الفهود والحيّات كل شراستها وسمها الزعاف دون أن يأخذ منها ولا

مقدارا ضئيلا من العطف والساحة التي تمارسها بين الحين والحين..

واقرأوا إن شئم (ذهب مع الريح) و(الدون الهادىء) و(الحرب والسلام) ثم تمعنوا بعد ذلك في صفحات الحرب في تاريخنا الاسلامي عبر مسيرته الطويلة.. الطويلة.. فسوف تلتقون في المرة الأولى، برخص الانسان وحقارته، ومجانية الدم الانساني وابتذاله، وسوف ترون في المرة الثانية – رأي العين – غلاء الدم وشرف الإنسان، وكرامة بنيان الله في الارض، وإنه ملعون من هدم بنيانه!!



ليس تقليداً... لكنه مسؤولية



كما أن أي مهندس أو طبيب لا يستطيع أن يستقل بعمله إلا بعد استكمال أدوات العمل ومهارات التخصص وخبراتها.. وكما أنه ليس لرجل اعتيادي أو مريض إلا أن يستشيرها بصدد بناء بيت أو علاج مرض... كذلك موقف المسلم» إزاء المسائل الفقهية والقضايا التشريعية..

إنه ليس تقليداً ذلك الذي يمارسه المسلم «المسؤول» في مسائل حياته جميعاً، وهو يرجع إلى معطيات أبي حنيفة، أو ابن حنبل، أو غيرهم..

وليس تقليداً ذلك الذي يعمله المسلم وهو يستفي، في أية مشكلة تعرض له، هذا الفقيه أو العالم، أو ذاك..

ليس تقليداً ولكنه شعور بالمسؤولية، وتقدير لموقع الانسان في خارطة المجتمع، واحترام ملزم لشريعة الله.. فليس في مقدور أي مسلم عادي، قبل أن يستكمل أدوات التعامل مع الشريعة، ويتمكن من خبرات الاجتهاد، ويحيط علماً عقاييس الاستنباط والمناظرة والتفريع، أن يشترع على هواه،

وأن يصدر الأحكام كها يشتهي، وأن يفتي لنفسه وللناس بما يرتأيه..

ولو جاز لكل إنسان أن يارس مهنة الطب أو الهندسة دون أن يدرس شيئًا عنها، بل دون أن يستكمل سائر ضرورات التخصص في حقولها الختلفة، لجاز للمسلم العادي أن يجتهد في أمور دينه دون أن يلزم نفسه بالرجوع الى أحد الأساتذة أو الشيوخ المتخصصين في مسائل الاجتهاد، والتشريع، أولئك الذين أفنوا أعهارهم وهم يضربون في بحر الضرورات العلمية التي تفرضها مهمة «الاجتهاد» الشاقة العسيرة على كل الراغبين في اقتحام خضمها العميق...

إن الدور الكبيرة التي يبنيها أناس لا خبرة لهم بمسائل الهندسة المدنية، ستنهار على رؤوس أصحابها يوماً...

والأمراض الخطيرة التي يعالجها رجالٌ لا يعرفون عن الطب شيئاً ستؤول بالذين يعانون منها إلى الدمار... والموت..

وكذلك تخرج الشريعة عن أهدافها، وتنزع عنها ملامحها، وتنشق عن شخصيتها وتميزها... عندما تغدو لعبة ميسورة في أيدي كل الناس، يعملون فيها – على هواهم – بمشارطهم لكي يستخرجوا منها حلاً لمشكلة عويصة أو فتوى لوضع

اجتاعي معقد... وما أكثر المشاكل والأوضاع المستجدة في عالم لا يكف عن الحركة والتمخض..

إن ثمة نوعين من الرجال يدعوننا الى أن نتخذ هذا الموقف من شريعة الإسلام.. هذا التعامل المجاني السهل، الرخيص، مع منهاج الله.. ساذج أو خبيث ...

ساذج يتصور أن إخراج الاسلام عن عزلته المعاصرة لا يتم الا بتحويل كل المسلمين الى مجتهدين، وتوزيع شهادات التخصص عليهم، دون أن يدرك أن «العزلة» ليست في هذا ، وإغا في حجب الإسلام عن الوصول الى «الحكم» في عالمنا الراهن.... الحكم الذي هو البداية الحقيقية والطبيعية لجابهة مشاكل الحياة والمجتمع، بالاجتهاد العلمي، الواقعي، المسؤول..

وخبيث يدرك جيداً أنه متى تحول المسلمون جميعاً الى «مجتهدين» فقدت الشريعة صلابتها، وقوتها، وتماسكها، وانسلخت عن شخصيتها وملامحها وتميزها، وتفتتت قواعدها شيئاً فشيئاً، لكي ما تلبث أن تندمج في مجرى الحياة الصاخب، وتتفكك وتذوب....

وفي مقابل هذا الرفض المسؤول الذي يتوجب أن يكون

عليه المسلمون تجاه قضية التشريع، فإن ثمة رفضاً آخر يتحتم عليهم:

ألا تتوقف حركة الاجتهاد... أن تظل مدارسها تعمل، ورجالاتها المتخصصون يتخرجون، ومشايخها وأساتذتها يزدادون خبرة، ومقدرة، ونشاطاً..

إننا إذا قدرنا على أن نتصور مجتمعاً حيوياً متطوراً يخلو كلية من مهندس أو طبيب، ثم يصل إلى أهدافه ببساطة... جاز لنا أن نتصور مجتمعاً إسلامياً حركياً يخلو من مشرع أو مجتمد، ثم يصل الى أهدافه التي علمنا إياها الله ورسوله...

إنها حدّان قاطعان كالسكين، أن نتحول جميعاً الى مجتهدين، أو أن لا يكون في مجتمعاتنا المعاصرة أي مجتهد على الإطلاق..

جرّبوا بأنفسكم..



وماذا بعد الموت؟

ألح على السؤال، وأنا أشهد في مقبرة قصية - خارج المدينة - مواراة التراب على أربع جثث لعائلة واحدة اغتالتها يد أثيمة في منتصف ليلة سوداء واختفت عن الأنظار..

وإذ كانت جثث الموتى قادمة من مدينة أخرى غير مدينتنا في صناديق أكبر حجهاً، لم يألفها حفارو قبورنا، فقد اضطرهم ذلك الى بذل جهد إضافي استغرق أكثر من ساعتين لتوسيع الحفر كي تصلح لالتقام الصناديق الأربع!!..

ودخل الليل وكانت الرياح المغبرة تسفي كآبة وشحوباً. وعندما غادرنا المكان مخلفين القبور الأربع الطرية وحدها، في الصحراء المتربة، التفت ورائي، وعبر زجاج السيارة، ادركت معنى ان يبقى الانسان وحده، جثة.. مغروزة في رمال الصحراء!!

وألحٌ علي السؤال : ماذا بعد الموت؟

أنْ يسأل الانسان نفسه، وهو جالس في بيته بين اهله واطفاله يأكل طعاما لذيذا، أو يشاهد برنامجاً مسليا، او يستلقي مرتاحا على سريره الدافيء، أو يتبادل الحوار الشيّق مع اصدقائه في ناد أو مقهى.. ومن حولهم تتمخض حركة الحياة الدائمة عن الأمل والبلادة والمتعة والنسيان.. ليس كمن يسأل نفسه، وهو يلتفت فجأة في اعاق الظلام، الى قبر جديد، وحيد، نبت قبل دقائق في قلب الصحراء، وغادره أقرب اصدقائه وأشد محبيه..

ترى.. لو ان دينا من الساء لم ينزل.. ودخلت في عقول الناس، على مدار التاريخ، خرافة الملحدين والعدميين، من انه لا حياة بعد هذه الحياة، لا بعثا ولا حسابا ولا جزاء.. وان نهاية الانسان المطلقة تجيء عندما يسكت قلبه عن الخفقان ويوارى التراب، لكي ما يلبث ان يأكله الدود ويتحول بعد قليل الى تراب يستعد لاستقبال الحفنات الجديدة من التراب الذي لا يكف عن الانقطاع!!

لو حدث وان تحقق هذا، ماذا سيكون شعور الانسان، وهو يقف في المقبرة يشهد دفن صديق أو قريب؟ ماذا سيكون شعوره، وهو يلتفت بعد دقائق الى الجثة المواراة وقد خنقها التراب، وتركت وحدها في الصحراء؟

إن أي مسلم لا يستطيع بفطرته وبداهته ويقينه وايمانه أن يتصور موقفا عدميا كهذا، إنه بمجرد تصوّره يحسّ بالاختناق، ويستنفر كل طاقاته النفسية للخلاص من المأزق واستنشاق الهواء الصافي النقي.. إنه لا يفرق ابدا بين كابوس لا يرحم يدهمه في المنام وبين احساس عدمي قاتم يمر بخاطره في المقبرة!!

أكثر من هذا إن المسلم يستمد من موقف «الفراق» هذا ثقة اكبر بعقيدته التي منحته الأمل الكبير بالبعث والنشور والحساب، وبدينه الذي علمه دامًا ان الموت ليس سوى نقلة، نقلة فحسب الى دار اخرى غير هذه الدار، والى حياة اخرى غير هذه الحياة.. ويتملكه احساس عميق بالرثاء، والاحتقار لكل اولئك الذين سعوا الى تزييف الحياة وبترها باعتقادهم ان الانسان يحيا مرة واحدة فحسب ثم يأكله الدود ويلفه التراب، ولا شيء وراء ذلك..

وما أكثر الذين ذهبوا الى المقابر لتشييع صديق أو قريب، وهم لا يلكون إيماناً ولا يقيناً، وإذا بنازلة الموت، وبمشهد حصر الميت بين جدران الحفرة الأربع، وإهالة التراب عليه، تحرك أفئدتهم الميتة، وتهز عقولهم الكسولة، وتغسل عن نفوسهم الصدئة ما علق بها من رين وغبار... فيغادرون المكان وهم أشد إيماناً وأعمق يقيناً..

وفرق وأي فرق بين انسان مؤمن يرجع من المقبرة وهو يحمل املاً كبيراً وبين انسان ملحد يخنقه المشهد المحزن ويزيده كآبة وضياعا..

ثم ماذا عن العدل النهائي المطلق؟ لقد اغتيل أربعة من الأبرياء : أب وأم وطفلان وليس بمستبعد أن يفلت القتلة من طائلة القصاص...

وما قيمة الحياة... وما قيمة الإنسان نفسه لو ترك مصيره هكذا معلقاً على عدل أرضي لا يملك - في معظم الأحيان - الأداة المضمونة لتحققه ونفاذه؟!

إن الاسلام، ذلك الدين القيّم، يمنحنا الجواب في كلتا الحالتين..

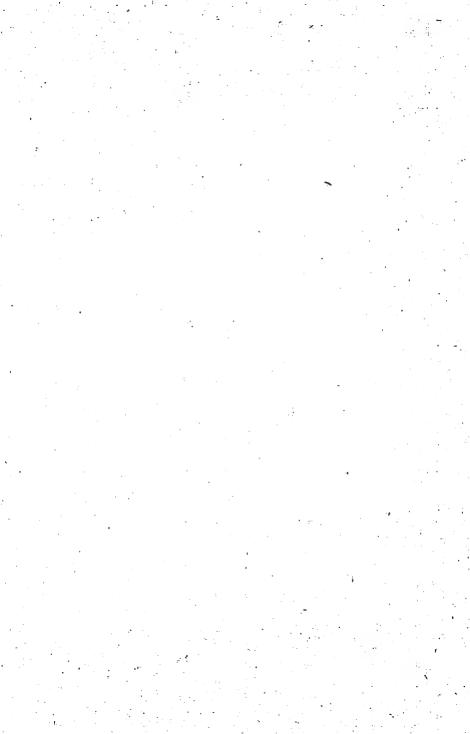
ولو لم يكن « الدين » سوى هذا « الجواب » لكان في ذلك وحده الدافع الأكبر لالتزامه، ومعايشته، وتعشقه، والتشبث به حتى آخر لحظة من حياتنا التي يعلمنا « الإيمان » أنها لن تنقطع، ولن تزول، ولن يضيع « حق » من حقوقها بالصدفة أو العبث أو الفوضى..

جرّبوا بانفسكم ذلك... اختبروا صدقه... ليس في بيوتكم ونواديكم.. ولكن في المقابر .. لحظة مواراة جثة صديق أو قريب.. التفتوا اليها بعد دقائق من مغادرتكم المكان.. وحيدة.. مهملة.. منقطعة في الصحراء..

أمن الممكن أن تكون هذه هي نهاية الإنسان ؟!



ليست الخطيئة أمراً كليّاً



هنالك « التفاتة » نفسية رائعة في مجال السلوك الأخلاقي للمسلم تتعلق بتوحده النفسي ...

تلك هي أن الحسنة إذا تبعت السيئة تمحها، وأن عمل الانسان «يسجَّل» له أو عليه، مها ضؤل، إنْ خيراً وإنْ شراً...

معنى هذا أن الانسان المسلم إذا ارتكب خطأ ما، فإنه لن يصاب بالازدواج، لأن هذا الخطأ لن يطارده دامًا بظلاله السوداء القاتمة، فيعذب ضميره، ويصيب روحه بالازدواج... بل إنه يجد الطريق أمامه مفتوحاً دامًا لإزالة آثار هذا الخطأ ونحوه، بمجرد أن « يحقق » عملاً حسناً!!

إن شعور الانسان بتسلط خطيئته على رقبته أمرٌ شاق وصعب...

ولكن في الإسلام لن تتاح هذه المأساة، لأن الخطيئة ليست أمراً كليّاً يطوّق الانسان من جهاته الأربع، بل هي في الحقيقة

تجربة «جزئية»، رقم من الأرقام يسجَّل في رصيد المسلم، في زاوية من زواياه؛ وبإمكان المسلم أن يسجل في نفس الرصيد أرقاماً أخرى لصالحه تفوق الأرقام السالبة، فلا يبقى لها أي أثر عددي!!.. وبإمكانه كذلك أن يستشعر ثقة تامة في أن أي عمل حسن يؤتيه سوف يمحو أساساً تلك الأخطاء الجزئية..

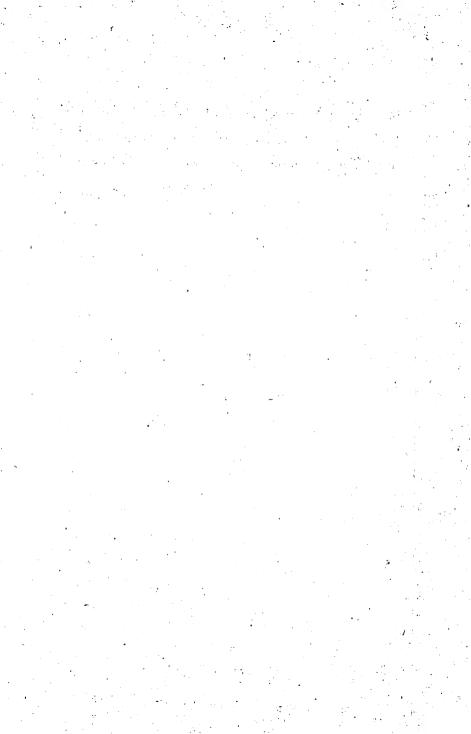
وهكذا دامًا، ما دام بنو آدم - بإقرار الإسلام - معرضين للخطيئة..

ولقد مررت أنا بنفس التجربة... كنت في البداية أشعر بالازدواج، وأن ما أرتكبه من أخطاء بسيطة - اللمم بالتعبير القرآني - يقف كأحجار عثرة في طريق مقاومتي من أجل التحقق الكامل..

ولكن عندما تبدت لي الحقيقة بالشكل الآنف، على بساطتها ووضوحها، شعرت بارتياح عميق، فلم تعد الأخطاء في واعيتي أكثر من مجرد قيم جزئية سالبة، تدون في الرصيد ويبقى «السجل الشخصي» بعد هذا مفتوحاً لتدوين أي عمل جديد مها ضؤلت قيمته!!

هذا ثم إن إقرار الإسلام بالتكوين النفسي للإنسان، ذلك الذي يارس تجربته الزاخرة بالحسنات والسيئات، المليئة

بمحاولات الخطأ والصواب، وان كل بني آدم خطّاء، وان خير الخطائين التوابون، كما أكد الرسول عَيْلِكُمْ ، تزيد من شعور المسلم بالتوحّد، وتمنحه مزيداً من إرادة التحدي والانتصار والخروج من أسر الأخطاء!!





في القرآن الكريم ما يمكن أن نطلق عليه (القصد الثنائي).. فلقد نزلت آيات القرآن في بيئة وزمان ذات معالم وأوضاع حضارية معينة، وثقافة وفكر متميزين.. والقرآن ليس دستور بيئة معينة ووضع حضاري ثابت.. إنه منهج حركة أبدية في المكان والزمان.. امتداد دائم في الارض وتطور في الزمن لا يقف عند حد. فكان على القرآن ان يواجه باعجازه هذه الثنائية، ان يخاطب وضعين، ويكون واضحاً في الثنائية، ان يخاطب وضعين، ويكون واضحاً في كليها : اولها أبناء العرب والاجيال المعاصرة لهم بما يتلكونه من امكانيات حضارية محدودة، وثانيها (الانسان) في المكان والزمان المطلقين بما يحتويان عليه دائماً من امكانات حضارية تزداد تركيزاً وتعقيداً يوماً بعد يوم.

ولو وقف القرآن الكريم عند المرحلة الاولى، وقدم آياته بحدود فهم العرب ومعاصريهم.. بحدود مكانهم وزمانهم، وباطار معطياتهم الحضارية، لبقي، كأي مصدر وضعي، وهذا غير ممكن لكلام الله، مأسوراً في حدود (تاريخية) لا يتجاوزها

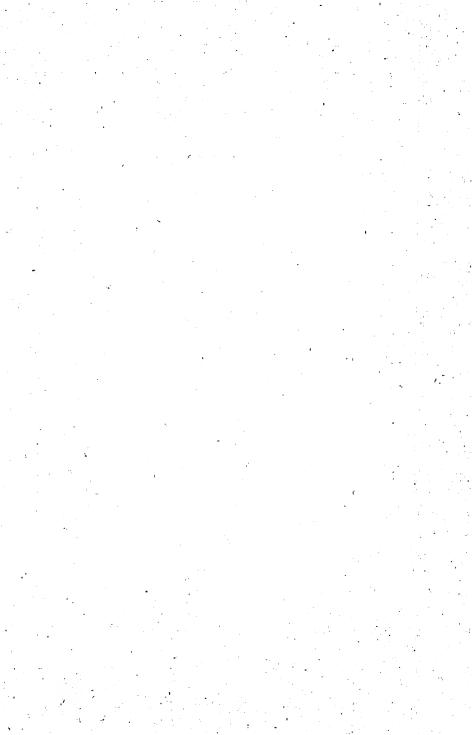
في العمق والمساحة، الامر الذي يتعارض اساساً ومهمته الخالدة.. ولو أنه اتجه الى تقديم آياته على صفة الشمول والاطلاق والتجريد كي تتواءم مع المكان والزمان الكليين لبعد واستعصى على افهام معاصريه الذين نزل عليهم، وهذا تعطيل لمهمته في اتخاذ ذلك الجيل نقطة انطلاق في التاريخ. ومن ثم كان اعجاز الله يتمثل في إحداث توافق عجيب بين المحدود والمطلق، بين القريب والبعيد، بين الظرف الراهن والبيئة المتناهية، وبين الزمان والمكان اللامتناهيين، بين معالم حضارة معاصرة وبين اطر مفتوحة لحضارة الانسان في كل مكان وزمان .. توافق يعطى لعدد من الآيات قصدين : احدها خاطب البيئة التاريخية والظرف الراهن، حرّك العرب ودفعهم الى الامام لإنجاز المهمة الصعبة الملقاة على عاتقهم، وثانيها لا تحده حدود، مفتوح لكل تطور ولكل إنجاز.

إن كل تطور وكل إنجاز يمكن ان يزيدا في ايضاح وتفسير هذا (القصد)المفتوح في القرآن. وأبادر فأقول انه ليست كل الآيات القرآنية تتضمن هذه الثنائية، واغا الامر يقتصر على تلك الآيات التي تتعلق بالنواميس الكبرى التي يقوم عليها بناء الكون، رياضية او طبيعية او حيوية او ميتافيزيقية.. من هنا كانت (الآيات العلمية) ميدان اعجاز

عظيم يمكن ان يتقدم بها القرآن الى ابناء كل جيل..ويزداد الاعجاز بازدياد معطيات التطور العلمي والانجاز البشري في حقول الرياضة والطبيعة وعلوم الحياة.. ومن هنا اعلن القرآن الكريم (سنريهم آياتنا في الآفاق، وفي انفسهم، حتى يتبيّن لهم انه الحق ﴾. ومن هنا - كذلك - كان على المفسرين الا يتغاضوا عن هذا الجانب المعجز من القرآن بدعوى انه ليس كتاب علوم ونظريات، شرط الا يتمحّلوا تفسير بعض الآيات ويرغموها على مطابقة المواضعات العلمية الراهنة التي لم تبلغ ولن تبلغ مرحلة اليقين المطلق..



المعادلة المركّبة



منذ قرون عديدة وحتى فترة قريبة، ظل مفكرو الغرب وكتاب ومستشرقوه يلطمون الخدود ويشقون الجيوب على « رجعية » الإسلام و « همجيته » و « وحشيته »..

لماذا ؟

لأسباب عديدة، منها أنه أباح الطلاق!!

وفي العقود الأخيرة راح كتّاب اليسار التقدمي ومستشرقو التفسير المسسادي يلطمون الحدود - هم الآخرون - ويشقون الجيوب.. للسبب نفسه!!

لكن هؤلاء وهؤلاء فاتتهم حقيقة ان المبادى التي جاء بها الإسلام وتنزّل بها القرآن الكريم، أشبه بمعادلات من الدرجة الرابعة لا يقدر على فهمها وحلّها الا الرجال الذين أوتوا قدراً كبيراً من التخصص والذكاء.. فهي مبادى لا تكشف عن تكاملها، وتوازنها، ودقتها، وتركيبها المعجز، لكل من يختار منذ البداية أن يضع على عينيه نظارات غامقة الحمرة أو السواد.. أو لكل من يجرفه الهوى عن مواقع البحث الجاد

والأمانة العلمية في التعامل مع الوقائع والمبادى، والقيم.. أو لكل من يريد أن يكون غبيًا!!

لكن حكمة الله جلّ في علاه، لا تقف عند هذا الحدّ.. إنها تعتمد مجريات الزمن المنظور والوقائع اليومية الثقيلة، البارزة للعيان، الظاهرة لأشد الناس غباء واكثرهم هوى، وارغبهم في تعتبم مجال رؤياه!!

تعتمد حكمة الله هذا وذاك لكي تفك رموز المعادلة المركبة، وتمنحهم بإقناع كثيف - لا يحتمل رفضاً ولا جدلاً - النتيجة الدقيقة، المقنعة، الكاملة، لتلك المعادلة..... النتيجة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها!!.

ونحن نذكر - على سبيل المثال لا الحصر - ما شهدته ايطاليا خلال السنوات الثلاث الأخيرة حول مسألة إباحة الطلاق أو تحريمه في داخل البرلمان أو خارجه... وكيف ان الامر انتهى بتصويت الأغلبية الساحقة على الاباحة ، لانها - كها تبدى من خلال ضغوط الواقع البشري نفسه وعلائقه المعقدة المتشابكة - ضرورة حتمية لا حيلة في تجاهلها والتهرب من مواجهتها بحكمة وشجاعة..

ولن يستطيع احد أن يقول إن ممثلي امة بكاملها قد

اختارتهم بحريتها، وارادتها، يمكن ان يكونوا في اكثريتهم، أغبياء.. أو أن يمارسوا التزييف والتزوير.. كما لا يمكن القول أنهم عملاء للاسلام رجعيون متأثرون بقيمه ومبادئه، لأنهم يحيون في قلب الأرض الكاثوليكية وحول كنيستها العظمى!!

ومن عجب أن الأحزاب اليسارية في ايطاليا، وعلى رأسها الحزب الشيوعي، اعتبروا قرار إباحة الطلاق نصراً لمواقفهم!!

ألم أقل لكم إنها المعادلة المركبة التي تعتمد، في تكشفها عن النتيجة الباهرة، أحياناً، وحيث يغيب الذكاء أو الموضوعية، على مجريات الزمن، المنظور، والوقائع اليومية الثقيلة البارزة للميان؟!

كتب للمؤلف

أ - أبحاث تاريخية

ملامح الانقلاب الاسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز: الطبعة الخامسة، مؤسسة الرسالة – بيروت

عماد الدين زنكى:

الطُّنبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة - بيروت

خطوات في الهجرة والحركة:

الدار العلمية ، بيروت - ١٩٧٢

الطبعة الثانية ، مكتبة القدس ، بغداد - ٢٩٧٦

دراسة في السيرة:

الطبعة الرابعة ، مؤسسة الرسالة - دار النفائس ، بيروت

نور الدين محود: الرجل والتجربة دار القلم، دمشق - ١٩٨٠

ب - أبحاث إسلامية

لعبة اليمين واليسار:

الطبعة الثانية مؤسسة الرسالة - بيروت

تهافت العلمانية:

الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة - بيروت.

التفسير الإسلامي للتاريخ:

دار العلم للملايين ، بيروت – ١٩٧٥ الطبعة الثانية ، بيروت – ١٩٧٨

مع القرآن في عالمه الرحيب:

الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين - بيروت .

مقال في العدل الاجتاعي:

الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة - بيروت .

الحصار القاسي (وثائق من تاريخنا المعاصر): مؤسسة الرسالة، بيروت - ١٩٧٨

ج - أعمال أدبية

المأسورون (مسرحية):

دار الارشاد، بيروت - ١٩٧٠

مشكلة القدر والحرية في المسرح الغربي المعاصر (نقد): الدار العلمية، بيروت - ١٩٧١

> في النقد الإسلامي المعاصر (نقد): الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة - بيروت

> الطبيعة في الفن الغربي والإسلامي (نقد): مؤسسة الرسالة، بيروت - ١٩٧٧

فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر (نقد): مؤسسة الرسالة، بيروت - ١٩٧٧

معجزة في الضفة الغربية (مسرحيات ذات فصل واحد) مؤسسة الرسالة، بيروت – ١٩٧٨

فهرست

٧	مقدمة
١٣	المشروع الدائم
19	العزف على الحسناء
70	بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه
٣٣	الكلمة: فعلٌ يلتزم ويثور
٤١	نحن نعيش أزمتين
£V	من مسيلمة الكذّاب إلى الدكتور
٥٣	التوازن المعجز
09	الذين يبحرون ضد أنفسهم
70	العمل الذي يهزّ أفئدة الناس
Y 1	الله وفرعون ورائد الفضاء
YY	نكون مهندسين أو لا نكون
٨٥	بورجوازي قذر
41	موقف الإيمان والمحبة
۲.۳	الصلاة ذلك التناظر المدهش
•	

1 • 9	إذا لم يكن الإلحاد غباءً فهاذا يكون؟
110	الكلمة عندما تشيخ
1 7 7	الموقف الرخيص
144	العودة إلى المرافي الإقليمية
144	لكيلا تأسوا على ما فاتكم
120	القرآن والكلمة المقاتلة
101	القرآن و « حالة الحرب »
104	روعة التناظر أم قوّة التنفيذ؟!
175	أسطورة الانعكاس والرفض
141	لأنه يعلم السرّ
144	واحد + واحد = اثنان
110	إنما الأعهال بالنيّات
198	كتاب ليس كالكتب
۲.۱	أفرٌ من قدر الله إلى قدر الله
711	الكلمة عندما تصنع التاريخ
Y1Y	البداهة المؤمنة ذلك المعلم الحاذق
774	الحوار الخلاّق
771	سورة الحديد يا لها من تسمية
444	ألاّ يستعبدنا التراث ذلك هو الجواب
729	أحمار الشهادات

700	مأساة الانفصال والاندماج
177	معطيات الصدق والتوحد
777	القمر من الجانب المظلم
***	التوافق العظيم
***	الحرب والإنسان
444	ليس تقليداً لكنه مسؤولية
444	جرّبوا بأنفسكم
444	ليست الخطيئة أمرأ كلياً
٣٠٣	نداء الحدود والمطلق
٣.9	المعادلة المركّبة

- 1